الجمهـوريــة الجـزائـريــة الديمقـراطيــة الشعبيــة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 – قالمة-
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
قسم التاريخ

أحمد توفيق المدني والمسيرة النضالية 1899- 1983

مذكرة مقدمة لنيـل شهـادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

من إعداد الطالبتين:
- إيناس حسني
- هالة بن سعدون

من إشراف الدكتور:
عبد الكريم قرين

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
الشايب قدادرة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	8 ماي 1945
عبد الكريم قرين	أستاذ محاضر -أ-	مشرفا ومقررا	8 ماي 1945
السبتي بن شعبان	أستاذ مساعد -أ-	مناقشا	8 ماي 1945

السنة الجامعية: 2022/2021

شكر وعرفان

بسم الله الرحمان الرحيم.

..."ولئن شكرتم لأزيدنكم"

الآية (7) من سورة إبراهيم

صدق الله العظيم.

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نقول:

الشكر لك ربنا أن وفقتنا في التغلب على صعاب هذه المسيرة العلمية، وجعلتنا على جسر الحق سائرين ولمنابع العلم طالبين، ولك كل الشكر والحمد في جعلنا من الفائزين.

كل الشكر والعرفان إلى الذي كان سندا لنا أستاذنا القدير "عبد الكريم قرين".

الإهداء

الحمد لله الذي خلقني، وسواني وأكرمني فهداني، فسرت برحمته إلى صراط مستقيم، الشكر لك ربنا أن وفقتني في التغلب على صعاب هذه المسيرة وأوصلتني إلى نهاية مشواري الدراسي على الرغم من أن العلم لا نهاية ولا حد له، فلك كل الشكر والحمد في جعلي من الفائزين، دون أن أنسى في هذا المقام توجيه كلمة شكر إلى الذي خيره الله واصطفاه على العالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين إلى الهادي الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

اهدي ثمرة جهدي

إلى من كلّه الله بالهيبة والوقار..إلى من أحمل اسمه بكل افتخار...إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب ...إلى كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة...إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق إلى القلب الكبير "أبي الغالي" أطال الله في عمرك وأبقاك تاجا على رأسي ورأس إخوتي

إلى ملاكي في الحياة....إلى من أرضعتني الحب والحنان...إلى كلّ من في الوجود بعد الله ورسوله....إلى رمز الحب وبلسم الشفاء، إلى القلب الناصع البياض" أمي الحبيبة".

*** واهدي أول انتصاراتي***

إلي من حملتني بطن واحدة، وجمعنا سقف واحد فتقاسمت معهم أجمل أوقات حياتي إلى أجمل ما أنجبت أمي إخوتي الأعزاء:

إلى من أرى التفاؤل بعينه...والسعادة في ضحكته إلى شعلة الذكاء والنور والرجولة إلى أخي العزيز "عزو."

إلى إخوتي الأعزاء "فيفي، فوزية، إلهام، نهاد" وأولادهم حفظهم الله ورعاهم أتمنى لهم التوفيق والسداد في مشوارهم الدراسي.

إلى من قضيت معها أجمل اللحظات واحتفظت معها بأروع الذكريات صديقتي "هالة"

وليكن ختام هذا الإهداء

إلى أساتذة قسم التاريخ وإلى أعضاء اللجنة المناقشة أشكرهم جزيل الشكر على عناء قراءة هذا البحث وتصويب هاناته.

إلى كل من أغفلهم قلمي ولم يغفلهم قلبي.

إيناس

الإهداء

وصلت رحلتي الجامعية إلى نهايتها بعد تعب ومشقة ...

وها انا ذا أختم بحث تخرجي بكل همة ونشاط ...

وأمتن لكل من كان له فضل في مسيرتي، وساعدني ولو باليسير ...

أولا إلى من قال فيهما الرحمان "بالوالدين إحسانا"

الى رمز النبل والعطاء .. إلى نبع الحنان والعطف .. إلى التي سهرت من أجل راحتي .. إلى من تألمت لألمي وفرحت لفرحتي .. إلى أسمى وأجمل كلمة ترددت على مسامعي أمي العزيزة الغالية "**فوزية**" أطال الله في عمرها.

الى رمز التضحية والكفاح والعمل المتواصل .. إلى من علمني معنى الصبر والإرادة .. إلى من ضحى بالكثير ليراني في أعلى الدرجات .. إلى قدوتي في الحياة أبي الغالي "**السعيد**".

الى إخواني سندي في الحياة.

الى كل أصدقائي، ومن كانوا برفقتي ومصاحبتي أثناء دراستي الجامعية.

الى صديقتي ورفيقة دربي "**نوسة**".

ونسأل الله أن يجعله نبراسا لكل طالب علم

هالة

المقدمة

المقدمــة

ارتبط تاريخ الجزائر المعاصر، بجهود زعماء وأقطاب بارزين الذين كان لهم دور فعال على المستوى الفكري والسياسي، عرفوا بفئة واعية الفكر، حرة القلم، عملوا على نهوض بالمجتمع والحفاظ على مقاومته الوطنية وتحرره من قبضة الاستعمار الذي حاول طمس الهوية الوطنية، والقضاء على أحوال الشخصية الجزائرية ، ومن بين هذه الشخصيات «أحمد توفيق المدني»، هذه الشخصية التي تعتبر معلما من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية، والتي تركت بصمات واضحة في مسار الحركة الوطنية بأشكالها المختلفة، حيث كان شخص متميزا بحضوره وتجربته الرائدة، ليس في الجزائر فحسب بل حتى في موطن تونس أيضا، وما تركه من تراث حافل بجلائل الأعمال فقد رسم صورة حية لرجل عاش للجزائر وللأمة العربية والإسلامية القاطبة وحمل بصدق همومها، ونرجم بأفكاره تطلعاتها على مدار سبعين عاما من العطاء.

وانطلاقا من هذا يعود اهتمامنا بالبحث في المراحل التاريخية لأحمد توفيق المدني والممتدة من الفترة 1899م إلى 1983م أي من سنة ميلاده إلى وفاته.

- **أسباب اختيارنا للموضوع :**

يعود اختيارنا لهذا الموضوع لاعتبارات يمكن إيجازها فيما يلي :

- ميولنا إلى التعمق أكثر في معرفة شخصية أحمد توفيق المدني، الذي يعد من نشطاء السياسيين والمثقفين، ومؤرخ كبير كان له فضل في تأسيس المدرسة التاريخية الوطنية.
- دراستنا لإسهاماته الفكرية والأدبية الأولى التي تعد عنصرا فعالا في مسيرته الدراسية والعلمية.
- نشاطه السياسي الذي لعب دورا بارزا في الساحتين الجزائرية والتونسية.
- دراسة الحركة الوطنية الإصلاحية بالجزائر من خلال تسليط على أحد شخصيات فاعلة في هذه الحركة وهو أحمد توفيق المدني.

- **إشكالية الموضوع :**

تتمثل إشكالية الموضوع في عدة تساؤلات نطرحها فيما يلي :

- كيف كانت الحالة الإجتماعية لأحمد توفيق المدني؟
- فيما تمثلت اسهاماته الأولى في الفكر والأدب؟

- ما هي حقيقة نشاط أحمد توفيق المدني؟ وما هي أعماله؟
- ما هو موقف أحمد توفيق المدني من الثورة وحقيقة مساهمته فيها؟

▪ **منهج الدراسة :**

وقد سرنا أثناء البحث وفقا للمناهج التالية :

- المنهج الوصفي : من خلال وصفنا لأحداث وسردنا للوقائع.
- المنهج التحليلي : من خلال تحليل وشرح الوقائع وتوضيح أكثر للأحداث، مع وضع بعض الاستنتاجات.

للإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها وتبعا للمادة الإخبارية، التي تحصلنا عليها وضعنا خطة بحث تتماشى مع حيثيات الموضوع، وقسمناها إلى مقدمة و3 فصول وخاتمة وملاحق، تطرقت في المقدمة إلى التعريف بالموضوع وأسباب اختيارنا له، الإشكالية وأسئلة المراد مناقشتها، والمناهج المتبعة، مع ذكر الصعوبات، وأهم مصادر ومراجع البحث.

الفصل الأول : ترجمة لشخصية أحمد توفيق المدني، وقسمناه إلى 3 مباحث.

المبحث الأول : مولده ونشأته ووفاته.

المبحث الثاني : تعليمه.

المبحث الثالث : اسهاماته الأولى في الفكر والأدب.

الفصل الثاني : النشاط السياسي لأحمد توفيق المدني.

المبحث الأول : نشاطه السياسي بتونس.

المبحث الثاني : نضاله في الحركة الوطنية.

المبحث الثالث : دوره في جمعية العلماء المسلمين.

المبحث الرابع : موقفه من الثورة الجزائرية.

الفصل الثالث : النشاط الفكري لأحمد توفيق المدني وقسمناه إلى 3 مباحث.

المبحث الأول : نشاطه الصحفي.

المبحث الثاني : أعماله التاريخية.

المبحث الثالث : نشاطه الجمعوي والأدبي.

الخاتمة : أما بالنسبة للخاتمة فكانت عبارة عن خلاصة للبحث.

المصادر والمراجع :

كإثراء هذا الموضوع اعتمدنا على العديد من المصادر والمراجع من بينها :

أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مذكرات، اعتمدنا عليه في الفصل الأول.

أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، اعتمدنا عليه في الفصل الثاني.

عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899-1983م، اعتمدنا عليه في الفصل الثالث.

عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945م.

- **الصعوبات :**

وهكذا فإننا لم ندخر جهدا ماديا ومعنويا في سبيل إلمام بمادة الموضوع، إلا أنها واجهتنا بعض الصعوبات تمثلت في :

- صعوبة التنسيق والترتيب لإيجاد معلومات متشابهة ومتداخلة ومترابطة، تمكن القارئ من الفهم والاستيعاب.
- صعوبة التنقل من أجل الحصول على المادة العلمية.

الفصل الأول

ترجمة لشخصية أحمد توفيق

المبحث الأول: مولده ونشأته

في إحدى الديار العربية التي يرجع بناؤها إلى العصر الحفصي بنهج الناعورة رقم04 في تونس العاصمة، ولد أحمد توفيق المدني في 16جوان 1899م"[1]. وهو أصيل عائلتين جزائريتين هاجرتا إلى تونس عندما اشتد الاضطهاد الفرنسي بالجزائر قبل الثورة الكبرى للأخوين المقراني والشيخ الحداد، وكان ذلك سنة 1871-1872م[2]، ان عائلة المدني جزائرية اسمها الأصلي عائلة بن عمرة نسبة إلى أحد الأجداد، والذي يأخذ اسمه الحي المعروف في وقتنا الحاضر بحي" بن عمر" بمدينة القبة بالجزائر العاصمة، وهي من عرب الأندلس، الذين نزحوا بعد سقوط غرناطة في عام1492م[3] فقد كان أبوه من كبار علماء الجزائر، أما جده فكان أمين الأمناء أي شيخ بلدية الجزائر في العهد العثماني[4]، وكان تاجرا غنيا مما وفر له حياة مقبولة جدا. والده هو محمد بن أحمد المدني بن عمر القبي نسبة إلى مدينة القبة الغرناطي نسبة إلى غرناطة بإسبانيا.[5]

في منزل فخم وأسرة ثرية، أما والدته فهي عائشة بنت عمر بويزار بنت المجاهد الكبير" مصطفى بويزار" الذي كان قائدا فريق الفرسان الجزائريين في معركة أسطاوالي الشهيرة، ولدت بتونس خلال عام1877م من

---

[1] -أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ، مذكرات- بأجزائه الثلاث-، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، دط،2010، ج1ص87

[2] - هادية صيود، أحمد توفيق المدني الوسيط النضالي بين تونس والجزائر من خلال مؤلفه" حياة كفاح"، عصور جديدة، جامعة منوبة، تونس، مجلد 8، عدد1، 2018/2017م، ص144

[3] - عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني، النضال السياسي و الاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية1899-1983م، دار المحابر للنشر و التوزيع، د،ط، د، ت ، ص88 .

[4] -بوعلام بلقاسم وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، منشورات المركز الوطني للدراسات، الجزائر، د، ت، ص.131

[5] - آمال معوشي، أحمد توفيق المدني "لمحة عن اسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية"، مجلة البحوث التاريخية، الجزائر، مجلد3، عدد1، مارس 2019ص195.

*فبما يخص التاريخ الحقيقي للميلاد فهو الفاتح من نونفمبر1898م، إذ تضاربت الآراء فحسب ما أكده تجله محمد إسلام المدني ، أما رابح خدوسي في مؤلفه موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين، فقد ذكر أن أحمد توفيق المدني، ولد في1899/10/01وهذا خطأ

-وقد اعتمدنا التاريخ الرسمي المدون في شهادة الميلاد كمرجع للميلاد، وهذا التاريخ اعتمد بعد إلقاء القبض على المدني سنة1915م، وإيداعه السجن، وذلك لتفادي محاكمته عسكريا، حيث استخرجت له هذه الوثيقة لدى شيخ بلدية تونس،

-انظر شهادة ميلاد المعني في الملحق رقم01.

عائلة غشام، وهي احدى كبار العائلات التونسية، وعائلة بويزار تركية تماما من الأتراك الجدد، الذين قدموا إلى تركيا في أوائل القرن التاسع عشر ميلادي إلى الجزائر واستقروا بها[1].

كانت بدايات نشأة أحمد توفيق المدني في دار جده اذ يذكر في هذا السياق " كانت مدرسة حقيقية سامية الأهداف، رفيعة العماد تحتوي على خير ما في الدين وعلى خير ما في الدنيا، وكان جدي بويزار يعتكف على قراءة القرآن، وكان له ختم مرتين في الشهر، وكان مولعا بقراءة البخاري ومسلم، وكنا قبل صلاة العشاء نحيط به رجالا ونساء وصبيانا فيلقي كل ليلة درسا في الدين والأخلاق، ثم يعرج لكل يوم على ذكر الاحتلال الفرنسي بالجزائر ومآسيه وفضائعه ومذابحه وقدراته إلى أن يستفز شعورنا، والى أن تسيل الدموع."[2]

عاش أحمد توفيق المدني في أسرة متكونة من أربعة اخوة: ثلاثة ذكور وهم "الهادي" و "أحسن" و " محمد علي" وبنت واحدة تدعى" خديجةّ"، وقد أورد الرجل في مذكراته، خلفيات تسميته باسم توفيق اذ هو في الأصل "أحمد المدني"، فذكر أن هذه التسمية أطلقت عليه أيام حرب طرابلس سنة1911م عندما التقى القائد العام للجيش العثماني بليبيا فتحي بك، وهذا في احدى الجلسات الخاصة التي أقامها السيد المختار كاهية، حيث لفت انتباه القائد بحيويته وذكائه رغم صغر سنه فسأله عن اسمه، ثم دعاه منذ تلك اللحظة قائلا: أنت أحمد توفيق، فشاع الاسم و اشتهر وعرف به الرجل، وهذه الأسماء مشهورة لدى الأتراك وحسب الكاتب "احسان حقي" فان الأشخاص الأتراك أو الذين هم من أصل تركي، يطلقون على أولادهم أسماء عثمان وأدهم ونور الدين وتوفيق ومراد[3]

نشأ مترجمنا وسط جو عائلي إسلامي الروح، اذ تربى في أسرة كريمة ذات أخلاق عالية، عملت منذ الوهلة الأولى على حسن تربيته، ومراقبة محيطه، وقد روى بنفسه في مذكراته قائلا" كانت الحياة في منزل فخم حياة ناعمة سعيدة، لم أكن ألعب مع الأطفال، وأنا أسمع من وراء أبواب المنزل لصراخهم وما يقولونه من بذئ الكلام

[1] – عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899-1983م، ص88-89.

[2] –هادية صيود، المرجع السابق، ص144.

[3] –عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899-1983م، ص90-91.

الذي لم أكن أفقه له معنى وأسأل أمي عنه فتراوغ في الجواب وتقول لي اياك أن تختلط بهم وكانت الأم تجتهد في تعليمي سورا من القرآن وبعض الأحاديث النبوية، وما كان حديتها معي الا عن الحرام، وهو كل خبيث من القول أو العمل و الحلال وهو العمل الصاح الطيب"[1].

فوالدته كانت على جانب معتبر من الثقافة الإسلامية، كما كانت لها عناية بالقرآن والحديث حفظا وفقها، وقد كانت تعمل جاهدة في رعاية أولادها، وتربيتهم تربية مثالية تقوم على العقيدة الصحيحة والأخلاق الكريمة والسلوك الحسن، حيث كانت حذرة جدا عليهم من مخالطة الوسط الاجتماعي، وما ينجر عنها من انحراف، خاصة اذا كان المختلط بهم ممن لا أخلاق لهم.[2]

أما والده فقد كان من كبار علماء الجزائر، وقد درس بالجامع الأعظم الزيتونة، وكان يصحبه معه للصلاة، ويحادثه في الحكم و الارشاد ويحكى له جراء الاستعمار بالجزائر، كما نهل من منهل جده عمر بويزار، وأخذ من ينابيع ثقافته الدينية و الاجتماعية الواسعة حيث تعلم عنده دروسا في الدين و الأخلاق و السيرة النبوية دون اعقال الحديث عن واقع المسلمين عامة، و مسلمي تونس و الجزائر تحت ظروف الاحتلال الفرنسي،[3] وشكل بيت خاله محمد بويزار المدرسة التي أنارت فكره وأيقظت احساسه الوطني بما كان يبثه فيه من أفكار حول الحرية، ورفض حياة الذل والعبودية والنقمة على المستعمر، وحتى عندما كان خاله الحبيب بويزار بالمدرسة العسكرية فقد ظل على تواصل دائم بابن أخته وشكل أفضل قناة تمد الشاب الملتهف لمعرفة أخبار الدولة العليا بالوثائق التي كان مغرما بجمعها لأنها تستجيب إلى ميولاته.[4]

والواقع أن أحمد توفيق المدني نشأ ونشب في وقت كانت الجروح كلها لم تزل تنزف فمن الطبيعي أن يكون قد رضع وهو يعد طفل في المهد قيم الوطنية والثورة و الإباء ومن المعقول أن يكون احساسه بالمحنة من القوة، بحيث لا يضاهيه إحساس فلقد ولد وعاش من أجله، حيث أصبح بسبب كل هذه العوامل المذكورة معدا نفسيا وروحيا وفكريا، لخوض المعركة الفكرية والتسلح بالأسلحة العقائدية، و التحصن بحصانة الثقافة الإسلامية

[1] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص50–51

[2] –عبد القادر خليفي، المرجع نفسه، ص92.

[3] –عبد القادر خليفي، المرجع نفسه، ص51

[4] –بوعلام بلقاسم وآخرون، المرجع السابق ص133.

بالانشاب إلى المدارس الموجودة آنذاك بتونس، وبحلول عام 1915م أثناء الحرب العالمية الأولى، وما صاحبها من أجواء المراقبة، اعتقل أحمد توفيق المدني بتهمة التحريض ضد فرنسا، ليمكث في السجن حتى نهاية هذه الحرب ليطلق سراحه في أواخر عام1918م ونتيجة لثورته ونشاطاته السياسية و كتاباته الصحفية ثم ابعاده إلى الجزائر سنة 1925م ،حيث استقر بمدينة الجزائر العاصمة لدى بنات عمه من عائلة المدني.[1]

لقد أتم الرجل نصف دينه، فكان زواجه بطريقة تقليدية، لعبت بنات عمه دورا بارزا في ربطه بقرينتيه زكية بنت الزبير بن الأمين وهي عائلة مظاهرة لعائلة المدني ذات أصول عربية أندلسية، أقيم حفل الزفاف في يوم الثامن من شهر ماي عام1929م، عندما تعدى عتبته الثلاثين سنة، وهي تعتبر سنة متأخرة اذا ما قورن بزواج أترابه في ذلك الزمان، ووصف مترجمنا حياته الزوجية بأنها كانت بحرا من السعادة ونموذجا للحب والاستقرار، مما كان له عظيم الأثر نجاحاته و مشاريعه، أثمر هذا الزواج أربعة أبناء ثلاث بنات وهن سليمة وحسيبة وفيروز وابنا واحد هو محمد اسلام.[2] ومما يجدر التذكير به أن الشيخ أحمد توفيق المدني قد ترك أسرته نتيجة ابعاده، فكان وحيدا بالجزائر، وقد ذكر في مذكراته بأن كان يعيش عيش اللاجئين في العام الأول والثاني لإبعاده، فقد حرم أجواء الحياة العائلية، وكان يتحتم عليه تدبر أموره المادية والتي اعتمدت أساسا على ما يتقاضاه شهريا من جريدة النجاح مقابل تحرير المقالات في السياسة الخارجية ممضاة باسم الخبير، هذا علاوة على بعض الإعانات الممنوحة له من الحزب الدستوري، وكذا من والده، والتي قدر مجموعها ما لا يتعدى الألفي فرنك قديم غطى بها بعض الديون المترتبة عليه.[3]

لقد ولج مترجمنا عالم التجارة لتغطية حاجاته من خلال فتحه لدكان بقلب العاصمة الجزائر بشارع بوتان رقم 04 دعا المستودع التونسي خصيصه لعرض وبيع البضائع التونسية كالشاشية وتم ذلك باقتراح من صديقين تونسيين هما الطاهر المنستيري والصادق المنستيري، وبقي يزاول النشاط به لمدة سنتين وفي شهر أفريل1928م، اقترع عليه السيد عمر الموهوب صاحب متجر الدخان الشهير بالعاصمة، أن يتولى إدارة مكتبة

[1] –عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899–1983م، ص94.

[2] –عبد القادر خليفي، المرجع نفسه، ص95

[3] –عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة الثقافية والسياسية في تونس والجزائر1899 –1983م،ص53.

الواقع شارع لا ليبر، حيث استقر به إلى غاية انتدابه من طرف جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة للالتحاق بوفدها في القاهرة سنة 1956م، والحقيقة أن ظروف الابعاد والصعوبات المادية ومفارقة الأهل، لم تكن عوائق في وجه ابداعه الفكري

والثقافي، ونشاطه السياسي، بل أعطته دفعا قويا للإنتاج والتأليف واكتساح المنابر.[1]

- **وفاته:**

عاش أحمد توفيق المدني ثمانية عقود ونصف، عاصر خلالها أهم أحداث القرن العشرين، وتقلباتها على مستوى العالم، وظل الرجل يتمتع بشبابه وبذاكرته القوية حيث نجده يؤلف مذكراته في سن تجاوزت السبعين، فلم يكد يشعر بشيخوخته وهذه الحيوية جعلته يردد مرارا بعد أن تعدى عتبة الثمانين من عمره، أنه يعيش شبابه مرة أخرى، لذلك كان محل إعجاب وتقدير مما عايشوه عن قريب في سنواته الأخيرة وخاصة الزملاء بالمركز الوطني للدراسات التاريخية[2] (CNEH) التي كان مشرفا على القسم العثماني وبقي به إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء 18 أكتوبر 1983م، عن عمر يقارب 84 سنة[3] يمسكنه العائلي بالأبيار بالجزائر العاصمة، ويشير نجله إلى تفاصيل الساعات الأخيرة من حياة أبيه حيث قضي اليوم الذي سبق الوفاة بمكتبه بمركز الدراسات التاريخية، حتى أنه عندما ذهب لأخذ وثائق والده التي تركها هناك، وجد بعضا مما كتبه في نفس ذلك اليوم أي 17 أكتوبر 1983م.

ولم تشيع جنازته في يوم وفاته، بل تم تأخيرها إلى اليوم الموالي انتظارا لوصول الوفود، ومن بينها عائلة المدني المقيمة بتونس، وشخصيات وطنية تاريخية وفي أجهزة الحزب والدولة.

---

[1] –آمال معوشي، المرجع السابق، ص200

[2] – عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والإسهام الفكري في الساحتين الجزائرية التونسية 1899–1983م، المرجع السابق، ص 251.

[3] – بشير المدني، أحمد توفيق المدني، من المعالم المدرسة التاريخية، المدرسة التاريخية الجزائرية، ط 1، وسام براس للإعلام والنشر والإشهار، الجزائر، 1998م، ص 139.

المبحث الثاني : تعليمه.

انطلاقا من الوضعية المسيورة التي كانت عليها أسرة أحمد توفيق المدني فإنه بالضرورة سيتأثر بوضع عائلته التي كانت على مقدرة من العلم والمعرفة خلال هذه الفترة في تونس، فوالدته عائشة كانت بمثابة مدرسته الأولى التي كانت السباقة في وضع لبنته التعليمية الأولى، من خلال تعليمه القرآن الكريم والحديث لكي يتربى على مكارم الإسلام ويتحلق بأخلاقه الفاضلة ذلك هو الهدف التي كانت تبتغيه الأم من ولدها، كما كان لوالده نفس الدور[1].

وعند بلوغه سن الخامسة من عمره أدخله والده إلى الكتاب (المدرسة القرآنية)، فتعلم القراءة والكتابة وأخذ يتدرب على حفظ القرآن الكريم وهيء تهيئا للدخول إلى المدرسة القرآنية الأهلية[2] التي كان يديرها الشيخ محمد صفر[3] والتي كانت أول خطوة في مستواه التعليمي، وبحلول عام 1913م أنهى المدني دراسته القرآنية، فخرج منها منشعا بشتى العلوم على يد خيرة الأساتذة والشيوخ وكان خطيب هذه المدرسة وكاتبها البارز بتوجيه من أستاذه «الشاذلي المورالي»[4] فأخذ المدني يخطب ويكتب مواضيع تضمنها أفكاره عن حالة الوطن، وعن واقع الإسلام والمسلمين في كافة أنحاء العالم الإسلامي.

وفي نفس السنة إلتحق بجامع الزيتونة (الجامع الأعظم) ليتلقى تعليمه العالي[5]، وعن حياته الدراسية والمناهج التي إتبعها يروي لنا ذلك قائلا : "أما بجامع الزيتونة، فقد اخترت لنفسي مناهج دراسة خاصة بي لا أتقيد بصف، ولا أشارك في امتحان، أطلب العلم لأجل العلم لا لأجل المنصب، فإخترت لنفسي دروسا على أجلة الأساتذة، كالشيخ "الصادق النيفر" في الفقه، والشيخ "النخلي" في التفسير، والشيخ "محمد بن يوسف" في

---

[1] – بوضرساية بوعزة : رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 335.

[2] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 97.

[3] – إبراهيم بن عبد الله خريمي: موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر هجري، ج 1، دار الشريف رياض للنشر، ص 282.

[4] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 56.

[5] – محمد خير رمضان يوسف، تتمة الإعلام للزركلي، دار ابن حزم، ص 22.

البلاغة، والشيخ «محمد بن القاضي» في النحو والصرف، والشيخ «محمد بن شعبان» في المنطق والفلسفة، والشيخ «معاوية التميمي» في آداب اللغة العربية[1].

وفي نفس الوقت كان طالبا منتظما بالمدرسة الخلدونية، حيث تأثر بأستاذ التاريخ حسن حسني عبد الوهاب، فكان وراء توجيهه إلى اهتمام بالدراسات التاريخية.

وكان كثير التردد على لأحد مؤجري الكتب، فإلتهم الكثير من الروايات الأوروبية المترجمة إلى العربية خاصة مسرحيات «وليام شكسبير» وروايات «ميشال زيفاكو التاريخية»، وهو ما فتح له نافذة لتطلع إلى العالم والتفكير الغربي[2].

وفي عام 1915م زج به في السجن بتهمة التحريض ضد القوات الاستعمارية الفرنسية حيث بقي لمدة ثلاث سنوات ثم خرج وعاد إلى حضور الدروس بجامع الزيتونة[3] بعد تطوير ثقافته وجمع جميع الكتب الأدبية والدينية التي وفرها له أصدقاؤه وأهله طيلة سنوات سجنه.

ويخلص الباحث «عمر بن قينة» إلى أن الرجل قد جنح إلى تكوين نفسه بنفسه فكان موهبة فذة تكونت ثقافيا بعصامية نادرة، ثم دخل معترك الحياة الفكرية والأدبية من باب السياسة[4].

---

[1] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 99.

[2] – إبراهيم بن عبد الله خريمي: المرجع السابق، ص 284.

[3] – بوعلام بلقاسمي : المرجع السابق، ص 131.

[4] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 102.

المبحث الثالث: اسهاماته الأولى في الفكر والأدب

فرض أحمد توفيق المدني نفسه على الساحة الإعلامية وتربع على عرش الأدب مند ردح من الزمن، فهو من الشخصيات التي أثرت على مسار الصحافة التونسية، حيث ظهر نبوغه منذ نعومة أظافره، اذ فاق ببعد نظره، واستقامة فكره في المدرسة، واشتهر بالذكاء، والسلوك الحسن، مع التمسك بالمبادئ، وهو ما مكنه من أن يحظى بمنزلة من المحبة والتقدير من طرف رفاقه، وأساتذته.

أولا: الاسهامات الفكرية

ان المتتبع للنشاط الفكري لأحمد توفيق المدني في مراحل حياته الأولى بتونس، يلحظ بلا شك ذلك التنوع وتلك التجربة الثرية، ما بين العمل الصحفي، وحركة التأليف والمشاركة في بعث منتديات العلم والفكر.

- **النشاط الصحفي:**

كانت البداية الصحفية لتوفيق المدني بمطالعته الصحف التونسية في سن العاشرة من عمره حيث طالع أعداد "العروة الوثقى"، و"المؤيد "و "اللواء"، وهي تعد السان الناطق بتوجيهات الحزب الوطني المصري، وهذا في بيئته الأسرية الضيقة على مستوى دار خاله محمد بويزار، فكان يتفوق على زملائه بالمدرسة، الذين كانت أكثريتهم تلهج باسمه وتردد خصاله، وتتجمع من حوله تستمع إلى أحاديثه عن القضايا السياسية وحال الوطن.[1]

أما على مستوى المدرسة القرآنية الأهلية، فقد كان إلى جانب الاهتمام بالدراسة يقوم رفقة زملائه بتبادل الصحف التونسية، التي كانت تنمو فيها الروح الوطنية الإسلامية مثل الصحف" الراشدية"، و "المرشد"، و"المنبر"، و"التونسي"، والاتحاد الإسلامي إلى جانب ما تيسر الحصول عليه من صحف مصرية، وتفاديا للسقوط في المشكل المادي، ثم تبني طريقة تداول الصحف.[2]

[1]–أحمد توفيق المدني، حياة كفاح،ج1، ص24–28

[2] – المصدر نفسه،ص29

الحقيقة أن هذه المرحلة كانت غنية بالنشاط العلمي والفكري، فقد شهدت ميلاد المدرسة الخلدونية، وازدهار الصادقية، واصلاحات جامع الزيتونة المعمور.[1]

كثف "المدني" نشاطه الصحفي لا سيما بعد انخراطه في الحزب الدستوري، حيث أشرف على التحرير والشؤون الإدارية لمجلة "الفجر" التي أصدرها الحزب الدستوري منذ أوت 1920م وحتى شهر ديسمبر 1921م فكان مقر المجلة في نهج إنجلترا مركز اجتماع لقادة الحزب، وساهمت هذه الدورية في توفير الموارد المالية للحزب، إلى جانب رسالتها الوطنية في توعية التونسيين[2]

في اطار اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري، تكونت لجنة تحرير تقوم بإعداد المقالات الصحفية الوطنية ونشرها في الصحف الأسبوعية الموالية للحزب، فكان "أحمد توفيق المدني" عضوا في هذه اللجنة، وساهم بالتالي بمقالاته في جرائد "الأمة و"الاتحاد" و"العصر الجديد" و"الوزير" و "الصواب" و"افريقيا"، وعمل خلال هذه المقالات على فضح نوايا فرنسا التي عملت على استغلال تونس والحاقها بممتلكاتها، ودافع عن الخلافة الإسلامية في تركيا، وعلى "سعد زغلول" في مصر، وعلى مختلف حركات التحرر كما عمل على الدفاع عن حرية الصحافة، فشن حملة على السلطة عند تعطيلها جريدة "العصر الجديد"عام1924م[3]

لقد نجح المدني أيضا في تولي رئاسة التحرير في جريدة "الزهرة" اليومية منذ سنة 1924م، فكتب فصولا حادة عن محاولة الاستيلاء الفرنسي على الأوقاف، وعن حركة التجنيس، وعن المظاهرات النقابية وساهم في الدفاع عن حركة "محمد علي" النقابية، وفي تقريب هذه الحركة من الحزب الدستوري، وكان يحرر في هذه الجريدة مقالا يوميا عن السياسة الخارجية يساند فيه حركة التحرير العالمية.[4]

---

[1]–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان1995،ص418

[2] – عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني النضالي السياسي والاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899–1983م، ص130.

[3]– المرجع نفسه، ص131

[4]–عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية، ص131–132.

الظاهر أن المدني كان يركز اهتمامه على تحرير المقال السياسي، ويقول "محمد الفاضل بن عاشور[1]":(فان النثر السياسي الذي يمثله المقال الصحفي، قد تميز بانسجام أغراض هذا المقال مع التوجيه السياسي، حيث كانت المفردات ذات الرنة السياسية المثيرة للتعلق أو المقت، ونستطيع أن نحصر البارزين الممتازين في هذا النوع من الكتابة الإعلامية في ستة وهم: "سليمان الجداوي"، "محمد بن الحسين"، "أحمد توفيق المدني"، "ومحمد المنصف المنستيري" و"محمد محي الدين القليبي و"محمد المهدي بن الناصر").

مثل المدني عنصر الشباب، ذو المعارف الغربية الواسعة، والثقافة العربية المتينة، وبرزت قيمته الانشائية في المقالات التي ينشرها بالصحف بإمضائه المستعار "المنصور"، وهي مقالات تسودها القوة المنطقية، مع الحماس الخطابي، ويزينها التعبير المتين، السهل الممتنع، دقة الاستعمال اللغوي، وكشفت مقالته في منهجها، ومادتها عن أسلوبه العلمي وثقافته الفكرية، فرفع ذلك قدرة بين أهل العلم والفكر، ممن لا ينتمي إلى وسطه السياسي.[2]

الواقع أن الشيخ "توفيق المدني" قد نشط ثقافيا في محيط كان الصراع اللغوي فيه يختلف عنه في الجزائر فقد كانت النخبة التونسية غالبا مزدوجة اللغة، وقد أدى الصراع اللغوي في تونس إلى انفتاح سياسي، وكان ذلك في عدة اتجاهات، وطني محلي، وطني عثماني، وطني متفرنس.[3]

كان "أحمد توفيق المدني" كشخصية إعلامية بارزة، لم تتحمل المسؤوليات في إدارة الصحف، ولم تتحصل على امتياز إصدارها، الا أنها قد فرضت نفسها على الساحة الصحفية، وتواجدت مقالاتها في أغلب الصحف تدفعها جملة من الأسباب، تتعلق بالارتزاق، والدفاع عن القضايا السياسية أو الدينية أو الثقافية[4]. الحقيقة أن المدني وإثر اطلاق سراحه من السجن، قد ولج ميادين متنوعة، فإلى جانب نضاله السياسي ضمن الحزب الدستوري، ونشاطه الصحفي بمقالاته العديدة، وخطبه بالنوادي، وقد افتتح باب التأليف و النشر، فكان أول

[1]–محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، ط3، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص145–147.

[2] –المرجع نفسه، ص148

[3] –أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص418.

[4] –محمد حمدان، أعلام الاعلام في تونس، ط1، ش، ت، ف، ر،1991، ص111.

عمل أصدره "رسالة تونس إزاء جمعية الأمم" وضعها دفاعا عن حق تونس في عضوية جمعية الأمم، كما كتب "رسالة الحرية ثمرة الجهاد أو تاريخ كفاح ايرلندا"، التي لقيت رواجا، وأعاد نشرها بصحيفة "المشير" التونسية.[1]

لقد جذبته ناحية نبوغه العلمي إلى النشر الثقافي والأدبي، فأصدر سنة 1922م تقويما سنويا سماه "تقويم المنصور" وقد تابع إصداره خمس سنين ثابتا على ما لقي من المقاومة الحكومية[2]، وقد جمع في هذا التقويم الذي يشبه المجلة البحوث العلمية والجغرافية والتاريخية، والمقالات الأدبية والتاريخية والسياسية، وأصدر تقاويم أخرى بالعنوان نفسه سنوات 1923-1924، في حين أصدر المجلدين الرابع والخامس من تقويماته في الجزائر.

كان المدني كثير النشاط في المجال الفكري والثقافي، فقد كان يراسل جريدة "الفاروق" منذ عام1914م، حيث كتب عدة موضوعات انتقادية في جريدة الفاروق بوساطة "حسين الجزيري" الذي توطدت علاقته به وهو المعروف بعدائه لفرنسا، كما قام بإلصاق منشورات معادية للحلفاء على أبواب المسجد الكبير بتونس وأناشيد" الشاذلي خزندار".[3]

إن علاقته بالتحرير ترجع إلى سن مبكرة، إذ حرر مقالات أسبوعية بجريدة الفاروق، وهو في السادسة عشر من العمر، بلغت خمسة مقالات، وهي تعتبر ثمرة الجهاد الاجتماعي والسياسي، إذ ضمنها آراءه وأفكاره، حيث كتب مقاله الأول بعنوان الإدمان أول وزير الموت صدر في شهر نوفمبر1914م، ثم أتبعه بالمقال الثاني دعوة إلى الواجب أو المرأة التونسية والتعليم نشر في 04ديسمبر1914م وحمل عنوان كيف ننقد وطننا؟[4]

ويصف المدني بدايته الصحفية بالجريدة المذكورة قائلا:[5](وهكذا ابتدأت حياتي الصحفية البكرة، وقد لازمتني ستين سنة، ولا أنسى ما اعتراني من نشوة، وما وجدته في نفسي من اعتزاز، عندما جاءنا الفاروق في

[1] – مدني بشير، " أحمد توفيق المدني معلم من معالم المدرسة التاريخية الجزائرية"، المدرسة التاريخية الجزائرية، ط1، وسام براس للإعلام والنشر والاشهار، الجزائر ،1998، ص134.

[2] –محمد الفاضل بن عاشور، المرجع السابق، ص149

[3] –خير الدين شترة، مساهمات جزائرية في الحياة السياسية والثقافية التونسية من مطلع القرن العشرين الى غاية سنة1939، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،2002

[4] –أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، ط77-79.

[5] –المصدر نفسه، ص69.

نوفمبر1914م يحمل بين طياته ذلك المقال، وكنت أنظر إلى اسمي مطبوعا تحت مقالي كأنني ملكت الدنيا وما فيها).

اهتم الشيخ "توفيق المدني" بالكتابة الصحفية، التي كانت تعنى بقضايا أمته العربية والإسلامية إذ تولى الكتابة الدفاع والمساندة لكل من قضايا مصر وسوريا وتركيا بفضل وقع مقالاته المتصفة بالحماسة الملتهبة تعرضت الكثير من الجرائد إلى الغلق وتعطيل عملها، إضافة إلى الرقابة العامة، والإجراءات القمعية خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918م[1].

إن الطريق الصحفي الذي اختاره المدني، كان يهدف إلى نهضة الأمة، وشحذ هممها للثورة على الأوضاع المزرية التي كانت تعيشها، وقد التحق الرجل بركب الصحافة التونسية التي استأنفت نشاطها بعد رفع الحظر عنها في فاتح نوفمبر1920م، وحينها ازدادت الحياة والأفق الفكرية والسياسية والأدبية بتونس.[2]

هكذا عادت صحف مثل "المشير" و "الصواب"، عدد كبيرا من الصحف الجديدة و المجلات الراقية "كالفجر" و"البدر" و" المجلة الصادقية"، إلى جانب صحف "الوزير"، "النديم"، "الأمة"، "العصر الجديد"، "الاتحاد"، "الإرادة"، "افريقيا"، وغيرها من الصحف التي نشر بها المدني إنتاجه المتعدد الأنماط و الفنون من شعر و مقالات أدبية وسياسية اختارها اسم "المنصور" إمضاء مستعار، حيث لا يظهر اسمه لدى السلطات الفرنسية التي كانت تتبع حركاته ونشاطه، وتراقبه حتى لا تترك له الفرصة، ولأمثاله لتفويض دعائم وأسس هذا الكيان الاستعماري الغاشم على صدر هذه الأمة الحرة.[3]

بعد بروز هذه الصحف العديدة المختلفة، والتي كانت الوطنية منها في حاجة إلى مقالات الشيخ "أحمد توفيق المدني" الملتهبة، والمتقدة حماسا، وذودا عن كرامة الوطن السليب، اتخذ "المنصور" منها منابر يصب

---

[1]-أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، ص192.

[2]-الجابري محمد الصالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،1983، ص192.

[3]-المرجع نفسه، ص193.

عبرها كل غضبه على إدارة الحماية، وأعوانها من المتخاذلين، فتجاوزت شهرته وطنه الأصغر إلى العالمين العربي والإسلامي.[1]

بعد الحرب العالمية الأولى، وسعي الثعالبي بباريس لإطلاق الحريات موفدا من الأمة التونسية، وهي المساعي التي أثمرت فك الصحافة من عقالها، حيث رفع المقيم العام الجديد "فلاندان" الحجر على الصحافة العربية التونسية، فعادت الجرائد القديمة إلى الصدور، كما ظهرت صحف جديدة منها السياسية والفكاهية والأدبية، انحازت كلها تقريبا إلى صف المعارضة المتمثل حينذاك في الأستاذ عبد العزيز الثعالبي[2].

من الصحف التي كان يكتب فيها المدني جريدة "الأمة التونسية" لصاحبها "الحاج علي بن مصطفى"، حيث تولى تحرير القسمين السياسي والخارجي بها.[3]

كانت أولى المبادرات الصحفية للمدني بعد الحرب العالمية الأولى، هي تعريبه لمقال باللغة الفرنسية أصدرته المجلة البرلمانية الفرنسية، وهو مقتبس من كتاب "تونس الشهيدة"، وتولى "الطيب بن عيسى" نشر المقال المعرب في جريدته" المشير"، وكان بعنوان "الحرية والعدالة والمساواة وإلا الموت كتاب مفتوح إلى كل مناهض للحرية ساع في خنقها"، فتولت السلطة تعطيلها بقرار مؤرخ في 22مارس1920م.

كان لهذا المؤلف صداه الطيب، إذ أن جريدة" المنصور" الهندية الأسبوعية كانت تترجم له، وتنشر مقالات المدني في تقويمه.[4]

- **تأسيس المجمع العلمي التونسي:**

من أجل النهوض بالواقع العلمي بتونس، شارك "أحمد توفيق المدني" بمقر نادي قدماء الصادقية رفقة عدد من المناضلين التونسيين في تأسيس" المجمع العلمي التونسي" الذي يهدف إلى إعادة الأمجاد العلمية التونسية[5]

---

[1]–ابن قفصية عمر، أضواء على الصحافة التونسية 1860–1970، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1972، ص128.

[2]– خير الدين شترة، مساهمات جزائرية في الحياة السياسية والثقافية من مطلع القرن العشرين إلى غاية سنة1939م، ص 124–125.

[3]– المرجع نفسه، ص126.

[4]– محمد حمدان، أعلام الاعلام في تونس، ص112.

[5]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، ص321.

حيث شكلت لجنة ضمنت زيادة على مترجمنا، مجموعة من أقطاب الفكر وهم "عثمان الكعاك"، زين العابدين السنوسي"، "الطاهر صفر" و" محمد بن حسين" حيث تكلفت بإعداد قانونه الأساسي، وقد لعب توفيق المدني دورا رائدا في إعداده وإخراجه، وهذه اللجنة التأسيسية، اختارت مكتبا لإدارة المجمع ضم ثلاثة شخصيات وهم: "زين العابدين السنوسي" و"أحمد توفيق المدني" و "عثمان الكعاك".

قدم القانون الأساسي للحكومة، بغرض الموافقة عليه، فأرسلت نسخة منه إلى الوزير الأكبر للدولة التونسية، وإلى وكيل الجمهورية العام، والمراقب المدني بتونس، وذلك يوم 15ماي1924م، غير أن أمد الانتظار قد طال، ولم تتصل لجنة المجمع بالمصادقة الحكومية إلى غاية إبعاد الشيخ "توفيق المدني" إلى الجزائر، فركد المشروع ولم يتحقق بعد ذلك.[1]

لقد كان الهدف من تأسيس هذا المجمع يتمثل في:

-التطوير العلمي للغة العربية، بإيجاد الألفاظ العلمية، والتعليمية التي تحتاجها.

-البحث عن آثار التونسيين العلمية والفنية.

-تعميم التعليم وتنشيطه.[2]

ثانيا: الإسهامات الأدبية

- **تأسيس الرابطة القلمية:**

في إطار المساعي الرامية إلى ترقية النشاط الإعلامي، وتنظيمه، المدني إلى جمع الكتاب والصحفيين في إطار تنظيمي باسم الرابطة القلمية سنة1924م وهذا للدفاع عن حرية القلم والفكر، ولخدمة الحركة العلمية في تونس.

كان المدني كاتبا عاما للرابطة، " ومحي الدين القليبي" و" عثمان الكعاك" كاتبين لها، "وزين العابدين السنوسي" أمينا للمال.

---

[1]- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح،ج1،ص329-331.

[2]- خير الدين شترة، المرجع السابق، ص147.

تعد هذه الرابطة أولى المحاولات التنظيمية لربط اللحمة بين الكتاب والصحفيين، إلا أنها لم تعمر طويلا، بعد صدور الأمر الفرنسي القاضي بإبعاد أبرز نشاطها "أحمد توفيق المدني" سنة1925م.[1]وضعت الرابطة مجموعة مبادئ يستوجب احترامها:

-التزام الكتاب والمفكرين بتوجيه الأقلام إلى خدمة الحركة القومية، ورفع المستوى العلمي والاجتماعي للشعب.

-التزام الكتاب والمفكرين بالابتعاد عن خدمة الأغراض الشخصية.

-التزام الجميع بالدفاع عن حرية القلم والفكر.[2]

- **العمل المسرحي:**

كان للشيخ "أحمد توفيق المدني" اهتمامات بالجوانب الفنية، ولا سيما الفن الرابع، إذ نشط في ميدان العمل المسرحي، حيث ترأس فرقة السعادة، التي تأسست في العام 1924م وضمت تركيبتها شبابا ينتمون إلى الحزب الدستوري الحر، وقد تولى إدارتها الممثل "عبد المجيد الأرناؤوط".[3]

إن بروز هذه الفرقة يعكس تبلور المسرح السياسي في الحياة التونسي، حيث كانت مواضيعها تحارب الاستبداد الاستعماري، ووجود المحتل في البلاد، وقد مثلت العديد من المسرحيات عبر أنحاء المدن التونسية وخصوصا العاصمة تونس ومن أشهر عروضها:" نكبة الأندلس" ورواية "صلاح الدين" ورواية "طارق بن زياد" التي منعت عرضها للسلطات الاستعمارية الفرنسية، لما تضمنه من أفكار تمجد الحرية، وترفض العبودية والاستسلام.[4]

[1] -محمد حمدان، أعلام الاعلام في تونس، ص113.

[2] -عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية، ص137.

[3] -مدني بشير، المرجع السابق، ص137.

[4] -أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1 ،ص333.

والظاهر أن الإنتاجات المتنوعة لهذه الفرقة قد لقيت تجاوبا شعبيا ورواجا كبيرا لدى فئات واسعة في المجتمع التونسي، الأمر الذي دفع سلطات الحماية إلى ضربها في الصميم عندما قامت بنفي برئيسها المدني إلى الجزائر عام1925 م.[1]

[1] موقع: w w w .s q u.edn.Om/stu/tht/history.

الفصل الثاني

النشاط السياسي لأحمد توفيق المدني

المبحث الأول : النشاط السياسي لأحمد توفيق المدني.

أولا : نشاطه السياسي بتونس :

لقد تميزت الأجواء السياسية التي ناضل بها أحمد توفيق المدني بعدة أحداث على المتسويين التونسي والعربي الإسلامي.

1 – أثناء الحرب العالمية الأولى :

تعتبر معركة الزلاج[1]، أولى المشاركات السياسية لأحمد توفيق المدني في الأراضي التونسية، حيث كانت مكيدة استعمارية أراد الاستعمار الفرنسي من خلالها القضاء على الحركة الوطنية الناشئة، والتخلص من النخبة التونسية التي أخذت تظهر للوجود، وقد نادى المدني بالموت بدلا من تسليم زلاج، ومن خلال هذا أثرت هذه الكلمات في المجتمع[2].

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، ظهرت فكرة إعلان الثورة بتونس، بزعامة المدني والصادق الرزقي، أحمد نجاح، محمد السعيد الخلصي، .... حيث قاموا بوضع خطة تكونت من النقاط التالية :

- الوقوف في وجه فكرة التجنيد الإجباري الذي فرضتها فرنسا على التونسيين.
- إيقاظ الفكر التونسي من اليأس والخمول الذي أصابه بعد حوادث الزلاج.
- الاتصال بقبائل الجنوب "قبائل بني زيد" والتخط معهم بعمليات ضد الفرنسيين.
- الاعتماد على الطلبة الزيتونيين الجزائريين لبث الدعاية.
- إنشاء شفرة خاصة خط شري[3].

---

[1] – معركة الزلاج : هو الإسم الذي أطلق على الاحتجاجات العنيفة التي شهدتها تونس العاصمة في نوفمبر 1911م، ضد السلطات الحماية بعد قيام بلدية تونس الخاضعة لسلطتها، بتقديم طلب لتسجيل أرض الزلاج في السجل العقاري، حيث اندلعت في نهاية 7 نوفمبر 1911م، مصادمات عنيفة بين المتظاهرين وقوات الأمن الفرنسية (ar.m.wikipedia.org).

[2] – أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص 333.

[3] – محمد بوطيبي : دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900–1930م، جار الهدى، الجزائر، 2012م، ص 14.

وفي هذه الأثناء تم تكثيف المدني بالاتصال والتنسيق مع المناطق الجنوبية وذلك بهدف إحضار الأسلحة بشكل سري من خلال التستر وراء تجار التمر، لكن شاء الأقدار، تم الابلاغ عن الأمر وكشف هذا السر إلى الأمن الفرنسي من طرف أحد جواسيس فرنسا اسنه "عم البشير بوخريص" وألقي القبض عليه[1].

2 – مرحلة السجن :

سجن المدني من طرف السلطات الاستعمارية، وذلك تحت تهمة تعليق المنشورات التي تحث الجيش على العصيان وهو في الخامسة عشر من عمره[2].

تم إيقافه يوم 26 فيفري 1915م وزج به مباشرة في السجن بتونس، ومن خلال هذا يتضح لنا أن سجنه كان بسبب مناهضته للسياسة الاستعمارية الفرنسية بتونس[3].

قضى المدني سنوات الحرب داخل زنزانة انفرادية، استطاع بصبره وعزمه ومثابرته على أن يحول مرحلة السجن إلى مرحلة تكوينية، إذ أنه أحسن واستغل هذه المرحلة الصعبة، فتعلم علوم الدين وأصول اللغة العربية واطلع على كتب الفلسفة والسياسة، كل هذا أثرى مداركه فامتلك وكون لنفسه فكرة اجتماعية رائدة[4].

بعد خروجه من السجن وتشبعه الفكري والسياسي من الجرائد والصحف التي كانت تصله من طرف عائلته وتفرغ تماما للحياة السياسية النضالية[5]، بدأ بممارسة نشاطه السياسي والاتصال ببعض السياسيين وعقد اجتماعات سرية، وكان أول اجتماع ساسي سري للمدني في سنة 1920م، في مطبعة محمد التليلي، إذ تم في هذا الاجتماع مناقشة قضية طرح القضية التونسية في مؤتمر الصلح، ومن هذا الاجتماع تعرف الشيخ المدني

---

[1] – شاوش حباسي : محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية 1914–1920م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 07، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993م، ص 144.

[2] – محمد بوطيبي : المرجع السابق، ص 155.

[3] – أحمد بن جابو : المهاجرين الجزائريين ونشاطهم في تونس (1830–1954–م)، أطروحة دكتوراه، جامعة بلقايد، تلمسان، 2010–2011م، ص 220.

[4] – محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م، ص 446.

[5] – جيلالي صاري : بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850–1950م) ترجمة : عمر المعراجي، (د.د.ن)، الجزائر، 2007م، ص 280.

على الشيخ عبد العزيز الثعالبي والتواصل الة ضرورة مشاركة الوفد التونسي في مؤتمر الصلح والتنسيق مع وفود البلدان العربية المشاركة في المؤتمر[1].

3 – المدني والحزب الدستوري :

بدأت فكرة بعث تنظيم سياسي على قواعد وأهداف مضبوطة ترسخ شيئا فشيئا عند عدد من قدماء حركة الشباب التونسي، وغيرهم ممن لديهم الرغبة في توحيد جهود الشعب فما إن تنادي بتأسيس الحزب الدستوري حتى كان المدني من أبرز مؤسسيه[2].

إن حقيقة الحرب العالمية الأولى، وتطلع العالم كله نحو تجديد أوضاعه مبنية على السلم وحرية الشعوب التي نادى بها الرئيس «وودر ولسن»، دفع إلى تجديد السعي إلى بعث معالم النهضة التونسية وتطوير العمل السياسي في سبيل التحرير حيث شهد العمل استعدادا قويا من طرف الطلبة الزيتونيين والأساتذة الممتازين حاملين معهم الراية الإصلاحية، أمثال : **الشيخ محمد الصادق النيفر، الشيخ محمد مناشو، والشيخ عثمان بن الخوجة،** الذين عالجوا الخطابة والكتابة في الشؤون السياسية القديمة، والإصلاح الديني والفكري والاجتماعي[3].

إن التأثر التونسي بالمستجدات السياسية والعربية والعالمية ساعدت على حدوث العديد من التطورات منها : العريضة التونسية المقدمة إلى مؤتمر الصلح التي جملها عبد العزيز الثعالبي المتضمنة لمطالب التونسيين تجاه الساسة الفرنسيين، والمطالبة بعودة العمل بروح الدستور 1861م، وهو سر اختيار أعضاء الحزب التونسي للتسمية الجديدة «**الحزب الدستوري الحر**»[4].

---

[1] – محمد بوطيبي : المرجع السابق، ص 154.

[2] – ابن قفصية عمر : المرجع السابق، ص 127.

[3] – محمد الفاضل بن عاشور : المرجع السابق، ص 133، 135.

[4] – ابن قفصية عمر : المرجع السابق، ص 140.

لقد دارت اجتماعات متعددة واتصالات متكررة انتهت بإعلان عن تأسيس الحزب الدستوري الحر يوم 14 مارس 1920م، وقد أقسم المؤسسون يمين الإخلاص للحزب[1].

وكانت بداية نشاط المدني بالحزب الدستوري تعود إلى شهر ماي 1920م، عندما عرض عليه الشيخ حمودة المنستيري فكرة الانضمام إلى الحزب، إذ قام بكتابة عرائض الجزب وتوزيعها عبر أرجاء المملكة التونسية بغرض إمضاءها وتوجيهها للحكومة الفرنسية.

خلال جلسة 29 ماي 1921م، برئاسة عبد العزيز الثعالبي، دعا هذا الأخير إلى وجوب انتخاب أحمد توفيق المدني أمينا عاما مساعدا للقلم العربي باللجنة المذكورة[2].

لما تولى المدني مسؤولية الإشراف على الأعمال الداخلية للحزب أسندت إليه مهمة تحرير مجمل الفصول السياسية الخارجية في الصحف الأسبوعية التي يصدرها الحزب، شاعت واشتهرت تلك المقالات وصل صوتها حتى إلى الوطن العربي[3].

في الإطار السياسي المنظم، وفي صلب حركة ذات اتجاهات وطنية اسلامية واضحة تكشف نشاط المدني على الصعيدين الإعلامي والسياسي مثل : **نشاطه في مجلة الفجر**[4].

كما أن نشاطه الحيوي جعله يمثل مناصب هامة في الحزب الدستوري، حيث ذهب إلى فرنسا في 24 أفريل 1924م، ليفاوض ويحكي باسم عموم التونسيين والمسهمين في حل القضية الوطنية، ويخاطب أيضا المجتمع التونسي لجلب المنخرطين وتحفيزهم على الثورة ضد الأوضاع الاجتماعية والسياسية[5].

---

[1] – البشير بن الحاج عثمان الشريف : أضواء على تاريخ تونس الحديث 1881–1924م، ش.ت.ن، تونس 1981م، ص 197.

[2] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، ج 1، المصدر السابق، ص 75–95.

[3] – خير الدين شترة : إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية، 1900–1962م، المرجع السابق، ص 103.

[4] – محمد حمدان : أعلام الإعلام في تونس، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، تونس، 1991م، ص 112.

[5] – الصالح الجابري : المرجع السابق، ص 298.

حيث ذكر في هذا السياق : "**عوّدوا الشعب على الكفاح القوي .... تجدوه في الصفاف الأولى متى نفخ في بوق الجهاد**"[1].

إن نظرة المدني للكفاح كانت تؤمن بفكرة الضغط الشعبي والمظاهرات الكبرى والتهديد الدائم بالقوة، فكانت في نظرة الوسائل التي تمكنه من استرجاع الحقوق في حين يرى زملائه عكس ذلك ولابد من اتباع طريقة المطالبة الهادئة وتجنيد الجماهير، عبر الإقناع بلغة العقل.

ومن خلال ذلك فقد كان المدني يمثل الشق المتصلب للحزب الدستوري والذي وجد نفسه معزولا عن باقي أعضاء اللجنة التنفيذية خاصة مع خروج الثعالبي من تونس لتنتهي مكانة المدني بالحزب وذلك بعد قيام السلطات الفرنسية بإبعاده إلى الجزائر 1925م[2].

4 – تأسيس لجنة الخلافة الاسلامية وجامعة عموم العمالة التونسية :

ومن أهم اسهامات المدني السياسية إنشاء لجنة الخلافة الاسلامية سنة 1922م، عقب نهاية الحرب العالمية الأولى، ومن الأهداف التي كان يرمي إليها المدني من خلال تأسيس هذه اللجنة هو اغتنام فرصة حماس الجماهير من أجل تحريك الساحة السياسية الراكدة، وقد كانت هذه اللجنة تعمل باستقلالية عن الحزب الدستوري[3].

كما سجل المدني موقف اللجنة من قضية إلغاء الخلافة من بداية مارس 1922م، هذا ما أثر بالإيجاب على الرأس التونسي، بحيث ساند لجنة توفيق المدني ورفقائه في استيائهم منذ الإعلان عن قيام الجمهورية التركية وإلغاء الخلافة العثمانية الاسلامية[4].

---

[1] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، ج 1، المصدر السابق، ص 233–236.

[2] – زهير الذوادي : الوطنية وهاجس التاريخ في فكر عبد العزيز الثعالبي، سراس للنشر، تونس، 1995م، ص 60.

[3] – محمد الفاضل بن عاشور : المرجع السابق، ص 142–143.

[4] – خير الدين شترة : المرجع السابق، ص 106.

إشهار المدني اسم الحزب من خلال الخلافة العثمانية الاسلامية، كما انخرط المدني أيضا في جامعة عموم العمالة التونسيين[1]، مدافعا عن الشؤون الاجتماعية للأجراء والطبقة الشغلية، حيث ساهم في تدعيم هذه الحركة ماديا، وكان عضوا بارزا في الجمعية حيث تولى الكتابة والترجمة وظل مدافعا عن كل هذه الحقوق إلى أن تم إبعاده إلى الجزائر[2].

[1] – جامعة عموم العمالة التونسيين : أول نقابة قومية تونسية تأسست عام 1924م بقيادة محمد علي الحامي، ينظر : خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 164.

[2] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، ج 1، المصدر السابق، ص 288،292.

المبحث الثاني: نضاله في الحركة الوطنية.

لقد عرف أحمد توفيق المدني نشاطه وحيويته، ومشاركته السياسية في مختلف الأحداث الوطنية التي عاشتها الجزائر منذ دخوله إليها مبعدا من تونس سنة 1925م. إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية عام1954م، فكانت له مواقفه وبصماته في أهم الحركات السياسية والتجمعات التي شهدتها الجزائر في هذه المرحلة.

أولا: مشاركته في بيان الشعب الجزائري1943.

شهدت الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية 1939 –1945م العديد من التطورات السياسية و العسكرية، فقد كانت أجزاء من أراضيها مسرحا لمواجهات عسكرية بين قوات المحور و الحلفاء، فشكلت بذلك احدى الجبهات الحربية، فكيف تفاعل الجزائريون مع هذه التطورات؟ وما هو نشاط المدني خلال هذه الفترة؟

في08نوفمبر1942 نزلت القوات الأنجلو أمريكية بالسواحل الجزائرية، وقد رحب الجزائريون المسلمون بهذا النزول، لاعتقادهم مخدوعين بأن الحلفاء جاؤوا لتحرير الشعوب المحتلة، وفقا لشعاراتهم المرفوعة، المتعلقة بالحرية والديمقراطية، كما نصت عليه مبادئ ميثاق الأطلسي،[1] وتميزت هذه الفترة من الناحية السياسة نشاط الحركة الوطنية بتياراتها المختلفة، وبالمقابل وقعت اتصالات بين الجزائريين والفرنسيين والحلفاء بهدف وضع إطار لمستقبلهم، وفي هذا الصدد دعى المترجم له من قبل الجنرال جيرو للتباحث حول التفاف الجزائريين إلى جانب فرنسا والحلفاء ومساندتهم، وخلال المقابلة طرح المدني مطالب التونسيين و الجزائريين و شرح آلام الشعبين، إلا أن المناقشات لم تسفر على أية نتيجة، مما حدا بالمدني إلى وصف الجنرال جيرو بأنه "بغل مصفح".[2]

[1] –أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930–1945م، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج3، ط1، الجزائر 1986ص190.

[2]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، بأجزائه الثلاث ،الشركة الوطنية للتوزيع ، ج2، الجزائر، 1983،ص 366.

وفي نفس الأجواء، ذكر الشيخ توفيق المدني، أنه خلال شهر ديسمبر1942م أعلمه صديقه الأستاذ فرحات عباس بأن الجنرالين دارلان وجيرو قد طلب منه، ومن مجموعة من النواب، أن يفكروا في امداد فرنسا الحرة بالرجال الجزائريين قصد المشاركة في الحرب.[1]

وهكذا سارع فرحات عباس إلى تحضير مطالب لتقديمها للأمريكيين، يعتمد عليها كأساس للإصلاح، حيث قدم رسالة للسلطات والحلفاء يوم 20ديسمبر1942م[2] وأتبعا برسالة ثانية، تحمل بعض التغيرات يوم 22ديسمبر 1942م موجهة إلى السلطات الفرنسية عنوانها رسالة من ممثلي مسلمين إلى السلطات الفرنسية، اعترف خلالها بسيادة فرنسا على الجزائر، وقدم مشروع إصلاحات للتخفيف من معاناة الجزائريين، وتعتبر هذه الرسالة كمسودة لبيان الشعب الجزائري فيما بعد[3]، إلا أن هذه المطالب رفضت سواء من قبل الفرنسيين بحجج واهية.

وأمام تعنت إدارة الاحتلال، وعدم ترحيب الحلفاء بالمطالب المقدمة، أصبح أمام قادة الحركة الوطنية، وعلى رأسهم فرحات عباس، ووطنيين آخرين نشطين من مختلف الاتجاهات ضرورة تغيير موافقتهم، وتجذير مطالبهم.

والحقيقة أن توفيق المدني، رغم أنه لا يزال في هذه المرحلة، يعد تونسيا مستقرا بالجزائر، ويمثل الشخصيات المستقلة، دون النظر إلى نشاطه الصريح ضمن الحركة الإصلاحية وصحفها، إلا أنه كان من السباقين لاغتنام أية فرصة للتعبير عن الرغبة الصادقة في التخلص من الهيمنة الاستعمارية ، لذلك فإنه لم يتوان في تسجيل حضوره في كل تحرك، ومن ذلك ما ذكره عن الاعداد للبيان حيث أورد أنه في شهر جانفي من سنة 1943م اتفق الأخوان، عباس فرحات، والحكيم ابن جلول على الدعوة لعقد اجتماع سياسي تأسسي يضم اللجنة الصالحة من رجال الشعب الجزائري، لكي يضع أسس المطالبة، ويقول كلمته الصريحة في شأن مستقبله، وكنت" أي المدني"، مدعوا لحضور ذلك الاجتماع، وقد أشعر ميسو مورفي Murphy ممثل أمريكا بالأمر، لما عسى أن تفعله فرنسا.[4]

---

[1] – أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، بأجزائه الثلاث، المصدر السابق، ص366.

[2]- Mohamed Harbi، le F L N، mirage et réalité. Edition، jeune Afrique، paris :1980 pp45-62

[3]- Benjamin Stora- Zakya Daoud: Ferhat abbas Une autre Algérie ،édition، Casabah ،Alger، 1995 p115.

[4] –أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص367.

فدعا فرحات عباس إلى عقد اجتماع في مكتب المحامي الأستاذ" بومنجل" بالعاصمة حضره الدكتور "تامزالي"، و"غرسي أحمد"، و"قاضي عبد القادر"، والدكتور" الأمين دباغين"، و"حسين عسلة"، والشيوخ العربي التبسي، محمد خير الدين، أحمد توفيق المدني، الدكتور ابن جلول وفرحات عباس والدكتور "سعدان" مستشارا عام، و "محمد الهادي جمام". بالإضافة إلى مستشارين عاميين ومندوبين ماليين، اتفقوا كلهم على اصدار ميثاق جديد خاص بالجزائر وحسب المدني فإن الاجتماع حضرته حوالي 50شخصية، من ألمع رجال المجتمع السياسي الجزائري، ترأسه الدكتور "ابن جلول"، وقد طرح مترجمنا مجموعة مطالب، رأى أنها تمثل رغائب الشعب الجزائري لخصها في عشر نقاط أهمها:

-إنشاء مجلس تأسيسي لتحرير دستور لدولة الجزائر.[1]

-تكوين حكومة جزائرية مستقلة متعرف بها. تشارك مع فرنسا والحلفاء في الحرب.

- إلغاء تبعية الجزائر لفرنسا، وابرام معاهدة لتنظيم العلاقات بينهما.

-إنشاء النقد الجزائري الخاص بالدولة الجزائرية على قاعدة الدينار يساوي 1000فرنك [2]وهكذا جرى تكليف السيد فرحات عباس بتحرير نص البيان، الذي وقع بتاريخ 10فيفري1943م، وكان معنونا بالجزائر أمام الصراع الدولي، بيان الشعب الجزائري، وتركز على خمسة مطالب أساسية.

-إدانة الاحتلال وتصفيته، بمعنى إنهاء سياسة الإلحاق واستغلال شعب لشعب آخر.[3]

-منح الجزائر دستور خاصا بها يضمن لها.

-تطبيق مبدأ تقرير المصير لكل الشعوب سواء كانت صغيرة أم كبيرة.

-الحرية والمساواة المطلقة لكل سكانها بدون تمييز عرقي أو ديني.

---

[1] -فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها-ليل الاستعمار- تر: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، دت،ص140.

[2] -أحمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ص367.

[3] -فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها -ليل الاستعمار-،ص140.

-إنهاء الملكية الاقطاعية بتطبيق إصلاح زراعي واسع يضمن الرفاهية والرخاء للطبقة الواسعة من البروليتاريا الفلاحية.

-الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية.

-حرية الصحافة وحق إنشاء الجمعيات.

-التعليم المجاني والاجباري لكل الأطفال ذكورا وإناث.

-حرية الديانة لكل السكان، وتطبيق فصل كل الديانات عن الدولة.

-المشاركة الفورية والفعالة للمسلمين الجزائريين في حكومة بلادهم.

-إطلاق سراح جميع المساجين السياسيين المحكوم عليهم مهما كان الحزب الذي ينتمون إليه[1].

لقد جمع هذا البيان بين أفكار حزب اتحاد الشعب الجزائري، وجمعية العلماء المسلمين، وفئات عريضة من الجزائريين فالتصدي للاستعمار الفرنسي مهمة تتطلب تآزر الجميع، وقد عبر عنه المحامي "أحمد بو منجل" بأنه نضال سياسي سيؤدي إلى إحداث قطيعة نهائية مع الاندماج، ويقوي الروح الوطنية عند الجزائريين، وهو جوهر نضال توفيق المدني.[2]

يرى الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، بخصوص التقارب بين النخبة والعلماء، أن ذلك كان ناتجا أساسا على تطور النخبة، ويأسها من الديمقراطية الفرنسية، أما قبول العلماء التعاون مع هؤلاء، فقد كان ناتجا عن قناعتهم بالمواقف الجديدة، والتي أثبتت منذ سنة1943م لقطيعة رجال النخبة نهائيا مع المستعمر من جهة، والإمكانيات السياسية التي يتمتع بها أعضاء النخبة من جهة أخرى.[3]

---

[1]-Anonyme، du Manifeste à la république Algerienne، édition libération، Alger: 1948، pp40-41.

[2] -حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر،2001، ص88.

[3] – عبد الكريم بو صفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945م، دراسة تاريخية و ايديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الاشهار، الجزائر، 1996، ص286.

هذا وقد قام وفد على رأسه فرحات عباس، بتسليم نص البيان إلى الوالي العام مارسيل بيروتون Marcel .Pyreoton بتاريخ 31 مارس1943م، والذي وعد بأن يأخذ المطالب بعين الاعتبار كأساس لدستور الجزائر، وثم تشكيل لجنة سميت لجنة البحث الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي يوم03أفريل 1943م.[1]

ووصف المدني هذه اللجنة بأنها ألعوبة، فهي لم تدرس أي مشروع جدي لإصلاح أحوال المسلمين بالصيغة التي يطلبونها، ومع ذلك فقد تقدم أمامها فرحات عباس بعد التشاور مع موقعي البيان وعرض مطالب محددة بصفة ملحق البيان، خلال شهر ماي1943م.[2]

حسب الدكتور أبو القاسم سعد الله، فإن البيان وملحقه وثيقة واحدة، يحتوي عى مزيج من المطالب السابقة للنخبة، والعلماء، وحزب السعب، وأنها من وحي التجارب الماضية للجزائريين مع الاستعمار.[3]

والحق أن الشيخ أحمد توفيق المدني شارك بفعاليته في البيان التاريخي، وعبر إلى جانب زملائه عن آمال الجزائريين، وجسد خطه السياسي الذي يهدف إلى توحيد الجهود الوطنية لمقارعة المستعمر، الذي كان يعتقد دوما أنه لا يرجو منه الخير للشعب وهو ما تأكد من خلال الرد الفرنسي الذي كان على لسان ديغول بمدينة قسنطينة، خلال خطابه يوم 12ديسمبر1943م، والذي وعد فيه ببعض الحقوق، جسدها في أمر 07مارس 1944م الذي لم يرض أحدا من المسلمين.[4]

يرى توفيق المدني، أن الرد الفرنسي، أدى إلى انتشار الوعي السياسي في كل طبقات الشعب الجزائري التي أجمعت على اليأس من استماع فرنسا لصوت الحق.[5]

ثانيا: مشاركته في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها1951.

سجل مطلع الخمسينيات حركة سياسية نشطة، أعقبت عمليات القمع العنيفة الممارسة خلال أحداث8ماي1945م، وتأثر الاتجاه الثوري بالضربات التي تلقتها المنظمة الخاصة، بتفكيكها في شهر

[1]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930–1945م، ج3، ص208.
[2]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص375.
[3]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930–1945م، ج3، ص208.
[4]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص375.
[5]– المصدر نفسه، ص376.

مارس1950م، وقيام النظام الاستعماري بمهاجمة النشاطات البرلمانية، وتزوير الانتخابات في شهر جوان1951م، لذلك كان لابد من إعادة توحيد الجهود، في إطار منظم أو تجمع، يمكنها من بعث الأمل في نفسية الشعب الجزائري المحطمة.

توحدت الجهود فعلا، وظهرت باسم الجبهة الجزائرية لدفاع عن الحرية واحترامها وقد كان مهد لظهورها عدة لجان، وهي لجنة إغاثة ضحايا القمع التي أنشئت سنة1948م، ولجنة الدفاع عن حرية التعبير التي أنشئت عام1950م.[1]

وهكذا اجتمعت اللجنة لتأسيس هذه الجبهة يوم 25 جويلية 1951م، بالجزائر العاصمة، ضمت ممثلين من العلماء والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وحركة الانتصار الحريات الديمقراطية، والحوب الشيوعي الجزائري، وشخصيات مستقلة، وجهت نداء إلى جميع الجزائريين المهتمين بتحقيق الاتحاد.[2]

كتبت جريدة المنال عن الحدث قائلة:(إنها لبشرى تشرح الصدور، وتنعش الآمال، وتقوي التفاؤل بمستقبل هذا الوطن هذه البشرى هي تكوين لجنة إنشائية لتأسيس جبهة جزائرية لدفاع عن الحرية واحترامها فإن الذي نريده، هو توحيد السياسة والعمل في جبهة قومية، تتمثل فيها مطامح الشعب إلى الحرية والاستقلال، وهي خطوة عظيمة نرجو أن يتبعها توحيد البرامج السياسية في برنامج عام واحد يعبر عن أماني الأمة الجزائرية القومية)[3].

وبالفعل عقدت اللجنة التأسيسية اجتماعا لها، في قاعة سينما "دينازاد" بالجزائر يوم 05أوت 1951م، شاركت فيه التشكيلات السياسية، وشخصيات عديدة وأعداد غفيرة من المواطنين حيث أعلن رسميا عن ميلاد تلك الجبهة، ووقع الاتفاق على خمسة مطالب رئيسية وهي:

---

[1]– أسعد لهلايلي: الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902–1993م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة منثوري، قسنطينة،2006، ص10.

[2]– عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص165.

[3]– محمد بوزوزو :"بارقة أمل خطوة كبيرة في سبيل تحقيق الاتحاد القومي"، جريدة المنال، العدد06، الجزائر، 30جويلية1951م،ص01 .

-إلغاء الانتخابات التشريعية المزعومة التي جرت في 17جوان 1951م.

-احترام حرية الانتخابات في القسم الثاني.

-احترام الحريات الأساسية، حرية الفكر، الصحافة، والاجتماع.

-محاربة القمع بجميع أنواعه، وتحرير المعتقلين السياسيين، وإبطال التدابير الانشائية الواقعة على مصالي الحاج.

-إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الديانة الإسلامية.[1]

تم تكوين مكتب دائم يتشكل من عشرة أعضاء وهم "العربي التبسي"،" محمد خير الدين"، "أحمد مزغنة"، " الأستاذ كيوان"، "أحمد بومنجل"،" قدور ساطور"،" أحمد توفيق المدني"، "السيد كالبيرو"، "كوش يونس"، "الأستاذ مندوز". اتفق أن يتولى هذا المكتب العمل على تحقيق المبادئ المتعلقة بتوحيد الجزائريين، ولم الشمل و الدفاع عن الحرية، والحقيقة أن مشاركة الشيخ" أحمد توفيق المدني" تدخل في إطار نضاله المستمر، وعمله الدؤوب، الهادف إلى جمع كلمة الجزائريين، وتوحيد صفوفهم، وتوجيه جهودهم لمنازلة المستعمر.

وصف المدني الجبهة قائلا:(إن حركتنا هذه ليست حركة عنف، وليس حركة قوة، بل هي حركة عقل وحكمة، حركة حجة وإقناع، هي حركة مجموع الأمة الناهضة التي تريد بواسطة الحجج القوية الدامغة، وبواسطة المنطق السليم الراجح، ان ترغم الخصوم على التخلي عن مظالمهم، وامتيازاتهم الجارحة، وتدليسهم السخيف، وأن تنتزع من بين أيديهم انتزاعا حقوقها، وحرياتها وحياتها الشريفة السامية.[2]

كان الشيخ "أحمد توفيق المدني" من المتحمسين لدفاع عن المبادئ التي تشكلت من أجلها الجبهة، وفي مقدمتها الحرية والديمقراطية فخلال خطاب ألقاه بتاريخ 19أوت1951م، بالملعب البلدي بحسين داي حضره آلاف الأشخاص، خاطب الحضور قائلا:[3](إن السبب الأصلي في نجاح النظم الاستعمارية هو الخلاف، وأن

[1] جريدة المنال: "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها مولود جديد يحتاج إلى عناية،" العدد7 ، الجزائر15أوت 1951م، ص01.

[2] جريدة المنال: " الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها تقف أمام الأمة"، العدد08، الجزائر 31أوت 1951، ص03.

[3] المرجع نفسه، ص04.

دواءنا هو الاتحاد، إن الحرية أيها القوم هي كل شيء فالأمة المتمتعة بالحريات الأساسية، هي الأمة التي تستطيع أن تبنى بينها جدار مستقبلها السعيد.....وإذا ساد في بلادنا كل الحريات الديمقراطية، فقولوا يومئذ حي على الفلاح، و اعلموا يومئذ أن الأمة، قد خطت خطواتها الموفقة الصالحة وسارت سيرها الطبيعي.....اعلموا أنه مهما كان الطريق وعرا شائكا.....فإن كفاح هذه الجبهة المتحدة الموفقة يسود بالانتصار العظيم لتحقيق سعادة الأمة برفع لواء الحرية).

الحق أن المدني، ابتهج كثيرا لتشكيل هذه الجبهة، وقد كتب في جريدة البصائر عن الحدث:[1](الحمد لله والله أكبر، لقد تحقق الرجاء، وكللت جهود العاملين في سبيل جمع كلمة الأمة، وتحقيق وحدتها بفوز عظيم فهذه الجبهة إنما هي طليعة الاتحاد الجزائري المقدس فوجود طائفة من العلماء الصالحين المستقلين من جهة، ووجود الرغبة الصادقة عند سائر الأحزاب لمباشرة العمل المشترك، في سبيل الجزائر الحرة الجديدة).

ومن أبرز النشاطات التي قامت بها الجبهة، وسجل المدني مشاركته فيها، بصفته عضوا في المكتب الدائم، هو رفضها المشاركة في الانتخابات العمالية التي جرت في شهر أكتوبر 1951م، رغم إعلان الحزب الشيوعي، قراره بدخولها، حيث صدر تصريح مشترك، دعا الناخبين إلى مقاطعة تلك الانتخابات.[2]

كما اهتمت هذه الجبهة بمشاكل القطر، فكانت ترسل وفودا منها إلى مختلف مناطق الوطن التي تشهد أحداثا، مثلما حصل بالأوراس، وهي الأحداث التي كانت متزامنة مع تشكيل الجبهة، وبعد تلقي التقارير، تتم دراستها، والتوقيع على خلاصتها، وترسل إلى الإدارة الاستعمارية، وتنشر في الصحف كما هو الحال مع تقرير الجبهة الذي نشر بالمنار بتاريخ05أكتوبر 1951م.[3]

الواقع أن اهتمام الجبهة المذكورة، جاور الاطار المحلي، ليشمل البلدان المغاربية، حيث شارك المدني في إرسال برقيات الاحتجاج والتضامن مع الشعب التونسي، أثناء الأحداث الدامية التي تسببت فيها السلطات الفرنسية في مطلع سنة 1952م، حيث اعتقلت عددا كبيرا من الزعماء السياسيين و على رأسهم" الحبيب بورقيبة"

---

[1]– أبو محمد:" الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها، أعظم موقف تتخذه الجزائر المجاهدة في تاريخها الحديث،" البصائر، العدد167،الجزائر، 13أوت 1951،ص01

[2]– جريدة المنال: تصريح مشترك، العدد09، الجزائر، 05أكتوبر 1951م، ص01

[3]– جريدة المنال، المصدر نفسه،ص02

و"سليم المنجي" فقامت بتوجيه رسائل إلى الهيئات الفرنسية، وهيئة الأمم المتحدة وتصدر" توفيق المدني" اجتماعا بالعاصمة في 08 جانفي 1952م تأكيدا لهذا التضامن.[1]

استوقف نشاط الجبهة المتبعين للساحة الوطنية في مطلع الخمسينيات، وتم رصد المجهودات الكبيرة التي بذلها المترجم له في إطار المولود الذي، وإن لم يعمر طويلا، فقد استطاع لم شمل اتجاهات متناقضة أحيانا، وجمعها حول برنامج محدد، وهو ما يشكل نقطة تحول هامة.[2]

وعن دواعي فشلها، في تحسب أحد الكتاب تعود أهدافها البسيطة، التي لم تسمح للأحزاب الوطنية المعادية للاحتلال، أن تقدم برنامجها العملي الموحد، وهذا بسبب الاختلاف فيما بينها، من حيث النظرة إلى الاستقلال[3].

في رأي أحد معاصريها، فإن الجبهة كانت حسما هشا، لأنها لم تكن مبنية على وحدة الاتجاه ووحدة المبدأ، وعلى اقتناع قلبي وعقائدي، لذلك لم تستطع مقاومة اختلاف الآراء، وتلاشت شيئا فشيئا، دوم انفجار ظاهر.[4]

مهما تباينت الآراء والمواقف حول العوامل التي تقف وراء نهاية هذا التنظيم، فالأكيد أن التجربة شكلت حلقة من حلقات الوعي الوطني، حيث اعتبرها "المدني" اتحاد مقدسا جمع مشارب متمايزة، فكانت في نظره الوهلة الأولى التي انشق من بعدها نور الجبهة العظمى، جبهة التحرير الوطني الجزائري مبديا تعجبه من استصغار المؤرخين لها.[5]

صفوة القول أن مشاركة المدني في هذه الجبهة مثلت مرحلة من مراحل نضاله السياسي وأبرزت من جديد روجه الوحدوية، واستعداده للانخراط في كل تحرك لجمع كلمة الجزائريين.

---

[1]– بدون كاتب: تونس المجاهدة، البصائر، العدد182، الجزائر،01فيفري1952، ص01

[2]– البصائر: "بيان من الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها"، العدد174 ، الجزائر، 19نوفمبر1951، ص08.

[3]– Mahfoud Kaddache et Djilali Sari OPST، P113

[4] –عبد الرحمان بن إبراهيم، ابن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1984م، ص180–181.

[5]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص402–403.

ثالثا: خطابه تجاه الاستعمار:

تصدى الشيخ" أحمد توفيق المدني" منذ شبابه المبكر للظاهرة الاستعمارية بكل أبعادها، فالرجل نشأ على كره الاستعمار، وابن عائلة معروفة بعدائها للاحتلال، مما أدى إلى تشريدها وقطع صلاتها بوطنها الأم، ثم قطع صلات ابنها بها بعد إبعاده إلى الجزائر عام1925م.

هكذا نجد المدني يولي أهمية للواقع الجزائري اجتماعيا وسياسيا، هادفا من وراء كتاباته الصحفية، ومؤلفاته التاريخية، ومحاضراته، إلى ايقاظ شعبه وجعله واعيا بماضيه وحاضره ومستقبله، فهو صاحب آثر ناطقة في مناهضة الاستعمار، وتحرير الفكر العربي الجزائري.[1]

إن المتصفح لمقالات "المدني" بالجرائد والمجلات الصادرة بالجزائر خلال الربع الثاني من القرن العشرين، يلمس بلا شك تلك الروح الناقدة والأسلوب القوي، والنزعة التحريرية للرجل، الذي كانت له جولات مع المشاريع التي كان الاستعمار يطرحها من حين لآخر، فكان يصفها بأسمائها الحقيقية، فهي إما إصلاحات مزيفة، أو تجنيس وإدماج، أو تحطيم الوحدة الوطنية، ونشر للعنصرية وغيرها، فالقضية الأساس بالنسبة إليه، هي التشبث بالحق، والدفاع عنه والايمان بالهوية الشرقية والتمسك بمقوماتها، فمواقفه الوطنية تلاحق المستعمر على كافة المستويات، وتفضحه في الانتخابات والقضاء والممارسات الإدارية.

كان يقول الكلمة التي تعبر عن الواقع، مبديا رأيه علانية، منتقدا الوضع الذي يعيش فيه مجتمعه بكل صراحة، وطبق هذا الأسلوب على كل القضايا التي عالجها، فأضحى طبيا يصف الداء والدواء.[2]

الحق أن المدني كان جريئا في طرحه، منذ السنوات الأولى لدخوله الجزائر، وذلك عندما عامة نتساءل عن الحالة العامة للمسلمين الجزائريين، فوجد أن الجزائري من حيث المنطق والمعقول هو مسلم جزائري، ومن حيث القانون الدولي فهو فرنسي، ومن حيث المعاملات الداخلية يعتبر رعية فرنسية، يقوم بالواجبات ولا يتمتع بالحقوق

[1] –آنسة بركات درار، "حياة في سبيل العلم والجهاد"، مجلة التاريخ، العدد18، الجزائر، النصف الأول من سنة 1985م، ص 27–28.

[2] –عبد القادر خليفي، "أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة الثقافية والسياسية في تونس والجزائر1899–1984."ص83.

الفرنسية، وإن أراد ذلك، فيجب أن يتخلى عن الأحوال الشخصية، ثم ختم تساؤله بالتأكيد أن الشعب الجزائري، قد فضل البقاء على حالة الظلم والارهاق، رافضا التنازل عن دينه، أو التقاضي بغير ما أنزل الله.[1]

إن هذا الموقف المصرح به يعد خطيرا، مقارنة بالوضع العام، ولذلك نجد "ديبار مي" يذكر أن أفكار "المدني"، وبعض أمثاله، ليست سوى تعبيرا عما تردده جميع فئات الشعب الجزائري.[2]

من صور انتقاد السياسة الاستعمارية ما كتبه في جريدة" الشهاب"، خلال شهر نوفمبر 1937م بعنوان "محاكمة حزب الشعب "[3](إن الذي يدهشنا حقا، ويفتح أبواب الهواجس في أنفسنا، وهو ما يسلكه نحونا، مهما اختلفت أحزابنا رجال الإدارة..... فهم لا يريدون لنا أ رقي، لا ضمن منطقة فرنسا ولا خارجها.....لكننا نقول لهم بكل هدوء ..... أن عاقبة هذه السياسة الخرقاء لن تكون إلا وخيمة، مهما اغتروا بقوتهم، و اغتروا بسلطانهم .....و إن أرادوا أن نعيش عبيدا أذلاء، فإننا نأبى أن نعيش إلا أحرار سعداء).

ظهر المعني في هذا المقال، وهو يعبر على لسان جميع الجزائريين، ملخصا قناعتهم، تجاه الأساليب التي يستعملها الساسة الفرنسيون بالجزائر وأعوانهم.

كما بدا متكلما باسم شعوب المنطقة المغاربية، مبينا ازدواجية الساسة الفرنسي في التعامل مع أهلها حين قال[4]:(الحقيقة أن حكومة فرنسا، كانت ولاتزال اتجاه القضايا الإعلامية في الشمال الافريقي، تكيل بمكيالين مضيفا: إن العصر، عصر القوة لا عصر حق، فمادمنا نقدم الحق وندافع عنه بصفته حقا، لا يعتمد إلا على النظريات والأقوال فسوف لا نلاقي في نضالنا إلا الخيبة والإخفاق).

---

[1]–أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، دار الكتاب، الجزائر،1963م،ص328.

[2] –بوضرساية بوعزة، "بعض جوانب الحركة الوطنية في منظور ديبارمي " مجلة الثقافة"، العدد04، الجزائر1899–1983،ص 142.

[3] –أحمد توفيق المدني، حياة كفاح،ج2،ص294.

[4] –عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة الثقافية والسياسية في تونس و الجزائر1899–1983،ص142.

ولا دل على ذلك من مقاله الصريح: "أقتلوا الاستعمار، أو يقتلكم الاستعمار" مما قال فيه[1] (ألم تحتل فرنسا قطر الجزائر انتقاما لضربة مروحية خيالية؟، ألم تمزق الاستقلال التونسي شر ممز، وتفرض سلطانها الجائر على ذلك القطر، بدعوى حق الدفاع عن الجزائر ضد غارة جماعة من قطاع الطرق بجبل خمير؟).

بعد أن يفند الدعاية الاستعمارية الفرنسية، يلخص إلى القول:(نحن نعلم بلامس، أن القوة لا تزال هي الحكم الفصل في تقرير مصير الإنسانية).

الحقيقة ان المدني، لم يكن يترك مناسبة، أو حدثا سياسيا دوليا، خصوصا ما تعلق بموجة التحرر. إلا ووقف موجها خطابه إلى الاستعمار وأعوانه، الذين خاطبهم بصراحة، قائلا:[2]"(وهكذا ينهار المرأى منا ومسمع، وتحت مفعول الوعي القومي من جهة، وانتباه الضمير الإنساني من جهة أخرى، النظام الاستعماري.....لكن هناك قوم من الاستعماريين الآثمين....لا يرون مصرع الاستعمار العالمي، ولا يشاهدون تحرير الأمم.....أولئك القوم هم الفرنسيون، الذين حيل اليهم الطمع، أن كل استعمار في العالم ينهار، إلا استعمارهم وحده فهو طول البقاء.....إنه لموقف جهل وغباوة وغرور، سوف يؤدي بالفرنسيين إلى تجرع مرارة العواقب.....وربما كان ذلك أقرب مما يظنون).

الظاهر أن الحس السياسي" لتوفيق المدني" كان عميقا، وأن نظريته الاستشرافية لنهاية الاستعمار كانت بصيرة، فقد توقع اندلاع الحركات الثورية بالمنطقة المغاربية، ويتجلى ذلك بوضوح في أكثر من عدد من صحيفة البصائر، والتي جاء في أحدها، ما يؤكد هذه النظرة، فقد كتب في" منبر السياسة العالمية"، وتحت عنوان" طوفان ببلاد المغرب العربي":(لقد أصبح من الظاهر الجلي، أن موجة هائلة من الطغيان الاستعماري، تطغى اليوم على بلاد المغرب العربي، ويتفاقم أمرها شيئا فشيئا، حتى أصبحنا نعتقد إنها مقدمة لطوفان عنيف سوف يغمر هذه الأرض الفسيحة، التي يعتقد سياسة باريس أنها خلقت لتبقى إلى الأبد الآبدين نموذجا للنظام

[1] –أبو محمد " اقتلوا الاستعمار أو يقتلكم الاستعمار"، البصائر، العدد02، الجزائر:01أوت 1947، 03.

[2] –أبو محمد:" منبر السياسة العالمية"، البصائر، العدد04،الجزائر:29أوت 1947م، ص04.

الاستعماري الممقوت اللعين..... لقد أفلست السياسة الاستعمارية الفرنسية بهذه الأقطار، افلاسا منقطع النظير).[1]

صفوة القول أن الشيخ" أحمد توفيق المدني"، وبتتبعه للسياسة الاستعمارية في الجزائر و بلدان المغرب العربي، وعبر مناطق العالم، خلص إلى أن الاستعمار ظاهرة مصيرها الزوال مظهرا إيمانه العميق بتحقيق الحرية حين كتب[2]:(ستنهار لا محالة طال الزمن أو قصر، كل النظم الاستعمارية في هذه الدنيا وسنرى نحن على قيد الحياة، انشاء الله، تمتع كل أمة من أمم العالم، بحريتها الكاملة، واستقلالها المطلق، ولم يبقى الاستعمار إلا صفحة سوداء في بطون التاريخ.

بالفعل فإن ما توقعه المدني قد حصل وهو لايزال على قيد الحياة، حيث شهد العالم انتشار موجة التحرر، وانهيار الاستعمار في صورته الكلاسيكية عبر أصقاع الأرض، غير أن الظاهرة الاستعمارية أخدت أشكالا جديدة.

[1]–أبو محمد:" منبر السياسة العالمية"، البصائر، العدد23، الجزائر: 06فيفري 1948م، ص04

[2] –أبو محمد: " منبر السياسة العالمية"، البصائر، العدد 79، الجزائر: 09ماي1949م، ص05

المبحث الثالث: دوروه في جمعية العلماء المسلمين.

اجتاح العالم العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر حركة النهضة الإسلامية، وقد جاءت متأخرة في البلدان المغاربية، وخاصة في الجزائر التي شهدت بروز الحركة الإصلاحية، نتيجة تحرك المجتمع بعد الحرب العالمية الأولى، وانتشر صيتها بالتوازي مع حركة الشبان بزعامة: الأمير خالد"، وقد كان التقاء العلماء الذين تكونوا في مدارس مختلفة مغاربية وشرقية فتحا، أعطى ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مطلع الثلاثينات.[1]

الحقيقة أن مسألة ظهور جمعية العلماء المسلمين كتنظيم إصلاحي جامع ووطني، وأسبقية الدعوى إليها، قد شكلت محطة هامة لمناقشات المؤرخين وتلامذة الجمعية ومعاصريها، وما زادها حدة، وتضارب الروايات لدى المؤسسين أنفسهم، وتباعدها في نقاط وتقاطعها في أخرى، وقد توصلنا من خلال رحلة البحث التي شملت أهم الدراسات والشهادات المتعلقة بهذه المسألة إلى تبيان حقيقة الدور الذي لعبه مترجمنا وذلك بتتبعنا لمراحل التكوين.[2]

إن فكرة إنشاء تجمع للعلماء تحت أي اسم من الأسماء، قد أثيرت بعد الحرب العالمية الأولى وكررها "ابن باديس" و" الابراهيمي" سنة 1924م [3]حين التقيا فأبلغ "ابن باديس" " الابراهيمي" بأنه يريد أن يؤسس جمعية تحت اسم" جمعية الاخاء العلمي"، تتكون أساسا من علماء إقليم قسنطينة، وشرح أغراضها، وطلب من "الابراهيمي" صياغة قانون أساسي لها، فاستجاب لذلك، ووضع القانون الذي أقره " ابن باديس" ولكن التجربة فشلت، لأن أغلب العلماء كانوا مرتبطين بالوظيف، قليلي الاقبال على عمل الجماعة، فأقتنع "ابن باديس" بوجوب التمهيد لمثل هذه المؤسسة بواسطة صحافة حرة [4]ودعت إليها جريدة" الشهاب" سنة1925م، من خلال توجيه نداء للعلماء لتفكير في كيفية تأسيس حزب ديني يدافع عن الإسلام، ويعمل على إحياء الثقافة العربية.

---

[1]– Mohamed Teguia، L'Algérie en guerre، Office des publication Universitaire، Alger: 1988 pp34-36.

[2] –عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945م،ط1، دار البعث لطباعة و النشر، قسنطينة،1981م، ص93.

[3] –أحمد حماني، صراع بين السنة و البدعة،ص38.

[4] –عبد الكريم بوصفصاف، المرجع نفسه،ص77.

طرح "محمد السعيد الزاهري "، مشروع تكوين "حزب إصلاحي ديني"، سنة1928م، وخط له قانونه الأساسي لكن لم يتحقق الاجماع على الفكرة،[1] و الواقع أن التفكير في وضع أسس هذه الهيئة، وإخراجها هاجسا شغل العلماء المصلحين سنوات العشرينيات، ولما حلت سنة1930م، ومع احتفال فرنسا بمئويتها في الجزائر وما رفقها من مظاهر وتصريحات، فكان بروز الجمعية تلبية لإجماع الأمة، بما يشبه الاضطرار، وفي هذا يقول "محمد الطيب العلوي":[2](فإنشاء جمعية العلماء كان في الوقت المناسب، وكان ضرورة قصوى تقضيها الظروف و التحديات).

حسب الشيخ" محمد خير الدين" في مذكراته، فإن "إبن باديس" هو الذي دعا "محمد عبابسة" لزيارته بقسنطينة، وطلب منه اختيار جماعة لا تحوم حولها شكوك الحكومة، أو مخاوف أصحاب الزوايا على أن تتولى هذه الجماعة توجيه الدعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية بنادي الترقي بالعاصمة، فلبى الطلب واختار إلى جانبه" عمر إسماعيل"، والشيخ" محمد العاصمي" والسيد" أحمد توفيق المدني"، فتشكلت اللجنة التحضيرية.

وبخصوص عدم مشاركة ابن باديس في اجتماع اليوم الأول، فذكر بأنها مقصودة، وأن الرجل أبلغه سرا رفقة" مبارك النيلي" بهذا الغياب حتى توجه له الدعوة رسميا، فيكون مدعوا لا داعيا.[3]

أورد من جهته الشيخ" أحمد توفيق المدني" تفاصيل التأسيس بصفته أحد المساهمين و الداعين إلى تكوين الجمعية، حيث ذكر أن الجماعة من الفضلاء ذوي الاتجاه الإصلاحي العربي الإسلامي كانوا يترددون على نادي الترقي، لمناقشة الأوضاع التي آلت إليها البلاد، وخاصة "إسماعيل" و"محمد عبابسة"، حيث تناقشوا بإسهاب خلال شهر جويلية1930م[4]، فرأوا وجوب تأسيس هيئة للعلماء توحد جهودهم، وعن ذلك يقول:[5](وجاء دور التفكير في إنشاء مثل هذه الحركة، واخراجها من طور الفكرة إلى طور التنفيذ، وتداولنا نحن الأربعة في

[1] –أحمد بالعجال، الخطاب الإصلاحي عند محمد السعيد الزهراني1900–1944م، مذكرة ماجستير قسم التاريخ، جامعة منثوري قسنطينة،2006م، ص154.

[2] –محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830م في ثورة نوفمبر1954م، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة،1985م، ص110.

[3] –محمد خير الدين:مذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، بلا تاريخ، ص105.

[4] –عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الاخرى1931–1945م،ص100.

[5] –أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ،ج2، ص172.

الأمر وأخيرا هدانا التفكير إلى وجوب جمع علماء المسلمين في الأرض الجزائرية، أو على الأقل جمع من يلبي النداء منهم، وتأسيس جمعية إسلامية عالية.....قال العاصمي: وكان له فضل السبق في هذا المجال، لندعها إذن جمعية العلماء المسلمين، فتفاءلنا خيرا بالاسم).وعن الخطوات العلمية لتجسيد الفكرة، ذكر أن "عمر إسماعيل"، وكان أحد الأغنياء بادر إلى عرض جائزة مالية قدرها1000فرنك، لمن يتوصل إلى إنجاز هذا المشروع، ومن ثمة كتب" محمد العاصمي"، بإيعاز من "أحمد توفيق المدني" لمجلة الشهاب مبشرا بالموضوع.[1]

في هذا الاطار كتب أحد المعاصرين أن "عمر إسماعيل"، اجتمع "بابن باديس" بعد ذلك و التزم بدفع1000فرنك لمن يوافق من العلماء في تأسيس الجمعية تحت اسم "جمعية العلماء"، وقد نشرت" الشهاب" نص النداء في 05فبراير 1931م.[2]

لقيت المبادرة استحسانا كبيرا، فتهاطلت على إدارة الشهاب مئات الرسائل من علماء وطلبة من مختلف أرجاء القطر مشجعة الفكرة.

الظاهر أن المدني كان من الداعين إلى أن تكون الهيئة الجديدة جامعة لكل المذاهب والاتجاهات الصلاحية والطرقية، حتى تمثل وجدة وطنية صميمة.[3]

هكذا شكلت لجنة تحضيرية بنادي الترقي، تولت أمر الاعداد للاجتماع التأسيسي، ويذكر" حمزة بوكوشة" أحد المعاصرين والمساهمين في ميلاد الجمعية بخصوص هذه النقطة[4]، (تأسست سنة1931م لجنة تحضيرية بنادي الترقي. متألفة من أربعة فضلاء الجزائر جعلوا على رأسها "عمر إسماعيل"، وقد قام السيد عباسة الأحضري رحمه الله، وكان من الهيأة بسفارات بين الجزائر، وقسنطينة وبسكرة لهذا الشأن، ثم أعلنت اللجنة عن يوم الاجتماع للتأسيس ومكانه، فبعثت الدعوة إلى الذين توصلت إلى عناوينهم من علماء القطر وطلبته وعددهم 120، وكانت رسائل الدعوة قد كتبها "أحمد توفيق المدني" ، وأمضاها السيد "عمر إسماعيل" فأجاب

[1] –أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ،ج2، ص173.

[2] –عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر،ج1،ص174.

[3] – أحمد توفيق المدني ، حياة كفاح،ج175.

[4] –المصدر نفسه،ص175

منهم الدعوة 80، وما كان صباح يوم الثلاثاء 5ماي1931م، حتى اجتمع بنادي الترقي بعاصمة الجزائر 72من علماء القطر، لتحقيق فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين).[1]

جرى الاجتماع في شكل جمعية عمومية لبحث القانون الأساسي للجمعية وتم تعيين" أبي يعلى الزواوي للرئاسة المؤقتة وللكتابة العامة الأستاذ" الأمين العمودي" فتلى على الحاضرين القانون الأساسي الذي حرره الأستاذ" أحمد توفيق المدني"، وبعث به مع رسائل الدعوة، فأقرته الجمعية بالإجماع وترجمة إلى اللغة الفرنسية الأمين العمودي، الذي عين أمينا عاما.

اليوم نفسه تم انتخاب الهيئة الإدارية عن طريق اللجوء إلى تعيين الاقتراح، فعرضت أسماء ثلاثة عشر عضوا، جرى اعتمادهم من قبل الحاضرين بالإجماع، وهي طريقة ذكية مكنت من فوز العلماء المصلحين المجددين، وانتخب "عبد احميد بن باديس" غيابيا، حيث لم يحضر الاجتماع في اليوم الأول وحضر فيها بعد.[2]

الغريب أن العديد من الدراسات التي تناولت الحركة الإصلاحية، وظهور جميع العلماء، قد تجاهلت الدور الكبير الذي لعبه" المدني" في التأسيس، أو تعمدت القفز عليه، لدوافع لا علاقة لها بالموضوعية في الكتابة التاريخية.

الحقيقة ان الشيخ" أحمد توفيق المدني" كانت له مساهمة فعالة في تأسيس الجمعية كما سبق ذكره، وهو ما يؤكده أيضا "حمزة بوكوشة" في مقالين منفصلين نشرهما بمجلتي" المعرفة" و"حضارة الإسلام"، خلال 1964م.[3]

---

[1] –أحمد توفيق المدني، رد أديب على حملة الأكاذيب، مخطوط، ص1.

–أنظر البصائر العدد 317، 06ماي 1955.

[2] –عبد الكريم بوصفصاف، جمعة العلماء و علاقاتها بالحركات الجزائرية الاخرى1931–1945م،ص101–103.

[3] –حمزة بوكوشة: الامام عبد الحميد ابن باديس في ذكراه، مجلة المعرفة العدد10، الجزائر، أفريل1964،ص15.

–انظر أيضا موقع: www. Chihab. net modules. php ? name=News § file=article § sid=872

يرى الدكتور "أبو القاسم سعد الله" بأنه ليس غريبا أن يكون المدني وراء احتضان فكرة التأسيس، فهذه الفكرة قد تماشت مع تكوينه، والأفكار التي ينادي بها، فالرجل كانت علاقته قوية بالرواد، فهو على صلات "بابن باديس" و "الابراهيمي"، وكان يترجم "لمبارك الميلي".[1]

كان المدني قد أشار في مقال له بجريدة "البصائر" سنة1948م، إلى مشاركته في تأسيس جمعية العلماء ولم توجه إليه أية انتقادات حينها، لكون معاصريه من رجال الجمعية كانوا على دراية بذلك.[2]

ما نخلص اليه في مسألة التأسيس أن دور "المدني" كان رائدا، وظهرت مساهمته في كونه أحد أعضاء اللجنة التحضرية(اللجنة الرباعية)، التي تدعى اللجنة التأسيسية، وأنه هو الذي أرسل الدعوات لحضور اجتماع التأسيس العام، وأنه المحرر لقانونها الأساسي الأول، الذي أرسله مع رسائل الدعوة، وأقره المجلس بالإجماع، وترجمه الأمين العمودي للفرنسية.[3]

المعروف أن المدني له تعرض لحملة انتقاد وتجريح، وردت في كتاب" محمد الطاهر فضلاء"، المعنون ب: التحريف والتزييف في كتاب "حياة كفاح"، حيث ادعى مؤلفه أن "احمد توفيق المدني" لم يشارك لا في التأسيس، ولا في التحضير ولم يكن بالنسبة للجمعية لا في العير، ولا في النفير.

جاء رد "المدني" بخصوص هذه النقطة مدعما بالحجج و الشهادات، وخاصة شهادة" احمد بوكوشة"، في مقاله بالعدد 317من البصائر، عندما كان مراقبا عاما لجمعية العلماء، حيث ذكر "المدني" ذلك قائلا:(فالذين جاءوا بعد ذلك–أي بعد نشر المقال سنة1955م– بنيف و أربعين سنة، شنوا على غارة شعواء، وادعوا أنني لم أكن بالنسبة للجمعية لا في العير، ولا في النفير، لا يكذبونني أنا فقط، بل يكذبون نفس جمعية العلماء في مقالها الآنف الذكر، والمنشور بقلم مراقبها العام في صحيفتها الرسمية "البصائر"، أيام كان رجال الجمعية أحياء

[1]– أبو القاسم سعد الله، مقابلة شخصي، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الأبيار، العاصمة19 جوان 2006.

[2] –أحمد توفيق المدني: "مبارك الميلي مؤرخ الجزائر،" البصائر، العدد26، الجزائر:08مارس1948م،ص04

[3] –أحمد توفيق المدني:"مبارك الميلي مؤرخ الجزائر"، ص05.

يرزقون، يعملون ويجاهدون، ماعدا الشيخين الجليلين "عبد الحميد ابن باديس"، و"مبارك الميلي" اذ التحقا بالرفيق الأعلى).[1]

هذا وق أورد الشيخ "أحمد توفيق المدني" مجموعة أخرى من الأدلة، تؤكد مساهمته في الجمعية، ومن ذلك أن القانون الأساسي لدى الولاية العامة ممضي بخط يده باسم" ابن باديس"، الذي لم يحضر عند إيداع القانون، بالإضافة إلى قائمة أعضاء المجلس الإداري للجمعية وأعضاء لجنة العمل الدائمة ممضاة هي الأخرى باسم "ابن باديس".[2]

الملاحظ أن "توفيق المدني"، لم يكن ضمن الهيئة الإدارية المنبثقة، وقد فسر ذلك أنه كان مقصودا لتجنب رد فعل الإدارة الاستعمارية الفرنسية، باعتبار أحد أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري، وحتى لا تعتبر الجمعية امتدادا لذلك التيار.

علق المدني على ميلاد الجمعية بقول:(وهكذا أنشأت والحكومة مدهوشة لا تدري ماذا تصنع، ولا تعرف بماذا تقابل جمعية العلماء، فكانت النور، وكانت النار، وكانت العمل وتحقيق الأمل).[3]

***شعار الحركة الإصلاحية.**

من المآثر الخالدة التي حاز بها" توفيق المدني"، هو طرحه لشعار الخالد المعبر عن ثوابت الهوية الوطنية، والذي اعتمدته الحركة الإصلاحية، ولا تزال تردده الأجيال.

هذه المسألة تضاربت هي الأخرى حولها الآراء، إذ يقول" عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون" انها اشتهرت عن "ابن باديس"، وأن "توفيق المدني" يدعى أنه كاتبها، ويدعى نجم شمال افريقيا أنه ابتكرها.[4]

---

[1] –أحمد توفيق المدني، رد أديب على حملة الأكاذيب، ص16.

[2] – المرجع نفسه، ص20–22.

[3] –أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ، ج2،ص180–181.

[4] –عبد الرحمان بن إبراهيم العقون: الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصر،ج1،ص210.

ذكر من جهته المؤرخ" أبو القاسم سعد الله" عن حديثه عن أهمية الكتابات التاريخية "للمدني" وما تحمله من توجيه سياسي وبعث للوطنية، أن شعاره هو "الإسلام ديني"، و" العربية لغتي"، و"الجزائر وطني"، وهو الشعار الذي أصبح على لسان الحركة الإصلاحية ولا ندري من تفوه به أولا.[1]

بينما أورد المدني في مذكراته بأنه صاحب الشعار، وأكد ذلك مرة أخرى في مؤلفه المخطوط "رد أديب" حيث ذكر قائلا:(في الحقيقة أنني ألقيت بهذا الشعار في غمرة حماس دافق ليلة27 رمضان سنة1927م، في حفل الشبيبة الإسلامية بقاعة "لالير" وسجله عني ونشره مراسل صحيفة النجاح الصادرة بقسنطينة في أول عدد صدر لها بعد عطلة عيد الفطر، ثم وضعته فوق كتبي التي صدرت بعد ذلك.[2]

من الشهادات التي تؤيد ما ذهب إليه "المدني"، ما ذكره المؤرخ "محفوظ قداش"، من أنه صاحب الشعار،[3] ولعل أهم شهادة أثبتها أحد المعاصرين من رجالات الجمعية، هي التي جاء بها "حمزة بوكوشة" الذي أثبت أن صاحب الشعار هو "أحمد توفيق المدني" عندما كتب في أحد مقالاته: [4](وكان شعار العلماء المصلحين، الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا، وقد ظهر هذا الشعار أول ما ظهر مكتوبا على كتاب الجزائر للشيخ" أحمد توفيق المدني"، ثم تناولته الألسنة والأقلام ولقن للتلاميذ في المدارس بعد ذلك).

الواقع أن مكانة" المدني" بجمعية العلماء كانت كبيرة، فهو على احتكاك دائم بأقطاب الجمعية وحسب المؤرخ "علي مراد" فإن المدني حظى باحترام كبير لدى زعيم الحركة الإصلاحية الشيخ "عبد الحميد بن باديس"، وداخل إدارة الشهاب، فلم يكن فقط كاتب القطرين وصديقا حميما، بل عد رفيق في الكفاح وقد هنأه "ابن باديس"

---

[1] –أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج7، ص420.

[2] –أحمد توفيق المدني، رد أديب على حملة الأكاذيب، ص18.

[3]– Mahfoud Kaddache et Djilali sari، L’Algérie dans L’histoire la résistance politique1900–1954 ،t 5، ENAL OPU، Alger 1989، p30.

[4] –حمزة بوكوشة: الامام عبد الحميد بن باديس في ذكراه، مجلة المعرفة ، العدد10، الجزائر،أفريل 1964،ص15

–أنظر أيضا: حمزة بوكوشة "الامام ابن باديس"، موقع:

www.chihab.net/modules php. name–New § file –article § sid. 872.

عدة مرات وفي مناسبات، وتظاهرات ثقافية للحركة الإصلاحية، معترفا له بدوره الحيوي، ونشاطه الدعائي لصالح هذه الأخيرة التي أصبحت وبداية من العام1932م مفتوحة أمامه، بل أعتبر أحد روادها.

الحق أن" ابن باديس" كان يرى في المترجم له الموهبة والذكاء وقوة خطابه، وأنه صاحب نظرة سياسية ثاقبة، حتى قال عنه أنه خلق من أجل النشاط، وهذا أحسن اعتراف.[1]

الحقيقة أن الشيخ "أحمد توفيق المدني" ظل طيلة عقدين من الزمن، من عمر الجمعية مشاركا في نشاطاتها، مدافعا عن توجيهاتها، دون أن يكون رسميا في عضويتها، وهذه المسألة جعلت البعض يوجه انتقاداته للرجل، معتبرين ذلك الأمر تخاذلا منه، وأنه كان حريصا على رضا الجميع، فلم ينضم إلا في الزمن الأخير، بعد أن هدأت الزوابع.[2]

[1]–أحمد توفيق المدني، النضال السياسي و الاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية1899م–1983م ،ص283.

[2]–محمد حسن فضلاء: من أعلام الإصلاح في الجزائر،ج1، دار هومة،2000،ص283.

المبحث الرابع : موقفه من اندلاع الثورة 1954-1956م :

لقد توج كفاح الشعب الجزائري، طيلة ما يزيد عن مئة وعشرين عاما، باندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م، والتي استهدفت تحرير الأرض والانسان، وشكلت نقطة تحول تاريخي، ليس في الجزائر وحسب، بل في العالم المستعمر قاطبة، وأن هذه الثورة كانت المنعطف الأخير للحركة الوطنية وللشعب الجزائري، بعد تجربة مختلف وسائل التصدي للمحتل.

ولا نبالغ إذا قلنا أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثلت طليعة المتصدين، وكانت صاحبة فضل كبير في الإعداد الروحي لهذه الثورة، عبر مسيرة زمنية قاربت الربع قرن فقد هيأت جيلا كاملا من الوطنيين والوطنيات المتشبعين بمقومات الهوية الوطنية، والمتعطشين لرؤية الشعب الجزائري يتمتع بحريته ويعمل في دائرة العروبة والإسلام.

ولاشك أن مترجمنا من الذين هيئوا الثورة بأقلامهم الصحفية، وخطبهم ومؤلفاتهم ومن الذين أدركوا حقيقة المستعمر، بل ونلمس من خلال مقالاته بالبصائر في نهاية الأربعينيات قناعته بأن نهاية الاستعمار قد قربت[1]، وقد أشار إلى ذلك أكثر من مرة ولذلك فلا غرابة أن يقول المدني في مذكراته[2]: **"إنني وإن كنت هيأت للثورة منذ أمد بعيد، لم أكن قائدا من قادتها، ولا بطلا من أبطالها، بل كنت خادما لها، مطيعا لأوامرها".**

فما حقيقة موقفه من الثورة؟ وكيف إلتحق بها؟

في الحقيقة لا يمكن للباحث أن يفصل بين الموقف الشخصي للمدني ومواقف جمعية العلماء المسلمين باعتباره أحد أقطابها، فهو أمينها العام وقفت اندلاع الثورة، كما أنه برأس لجنة تحرير البصائر، ومن أهم صحيفة ناطقة بالعربية في الجزائر في هذه المرحلة، واللسان المركزي للجمعية علاوة على أن الموضوعية تقتضي عدم النظر إلى هذا الموقف بعيدا عن الظروف العامة التي تعيشها الجزائر، والتطورات السياسية للحركة الوطنية بصفة عامة.

---

[1] – أبو محمد : "منبر السياسة العالمية" "البصائر"، العدد 04، 29 أوت 1947م، ص 04، وأيضا "منبر السياسة العالمية" البصائر، العدد 79، 09 ماي 1948م، ص 05.

[2] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، ج 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر : 1988م، ص 13

ولفهم حقيقة موقف مترجمنا، نتبع مختلف التطورات المصاحبة لاندلاع الثورة، فالمدني شخصيا ذكر أنه أثناء زيارته لمدينة باتنة في شهر أكتوبر 1954م لإشراف على افتتاح مدرسة للجمعية، حصل على معلومات تفيد بقرب اندلاع الثورة، وأن المناضل "عمر در دور" أوحى إليه بهذه الفكرة خلال جولة لهما في أطراف الأوراس[1].

ويؤكد المدني أنه علم من مصدر موثوق بموعد انطلاق الشرارة الأولى للثورة حين اتصل بأحد رجال الحركة الوطنية والذي أبلغه في سرية تامة بتاريخ الفاتح نوفمبر، موضحا أن العلماء كانوا على استعداد تام لتأييد هذه الحركة التحريرية الكبرى منذ البداية[2].

والحقيقة أن مسألة توقع حصول الثورة أصبحت على ألسنة الكثير، "ففرحات عباس" مثلا قال بأنه عندما كان بالقاهرة في شهر جويلية 1954، أعلمه "محمد خيضر" بأن أحداثا ستعرفها الجزائر عما قريب، وستفرض وضعية جديدة على القطر، وسيكون كل الوطنيين الجزائريين مرتبطين بعمل واحد وفي حزب واحد[3].

وحرصا من "المدني" على الاستجابة لنداء الثورة منذ البداية، قام بالاتفاق مع الشيخ "محمد خير الدين" بدعوة أعضاء المجلس الإداري للجمعية للاجتماع، يوم فاتح نوفمبر 1954م بمدينة قسنطينة، وقرر المجلس بأن الجمعية تساند الثورة بدون تحفظ[4].

وبالفعل فقد بعث مترجمنا برسالة إلى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية الموجودة بالقاهرة، أبلغه فيها بأن الثورة العارمة قد انطلقت، وأسندت قيادتها لجبهة التحرير الوطني، وهي هيئة جماعية غير

---

[1] – عمار بوحوش : التاريخ السياسي منذ البداية ولغاية 1962م، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1997م ص 274-275.

[2] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، ج 3، المصدر السابق، ص 19.

[3] – عز الدين معزة : فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985م، مذكرة ماجستر، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004م، ص 223.

[4] – عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 276.

حزبية، وطلب منه أن ينشر باسمه بصفته رئيسا للجمعية منشورا عاما يبارك الثورة ويمجدها ويدعو الأمة للمشاركة فيها روحا وبدنا ومالا[1].

ويظهر بوضوح الموقف المؤيد للثورة من خلال هذا النداء الذي وجهه الرئيس بمشاركة الفضيل الورتلاني، عبر إذاعته صوت العرب من القاهرة، في 15 نوفمبر 1954م، ومما جاء فيه[2] : "أيها المسلمون الجزائريون حياكم الله وأحيا بكم الجزائر، هذا هو الصوت الذي يسمع الأذان الصم، لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه ... إنكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختاروا الشرف على حياة العبودية".

وعلى المستوى الداخلي يؤكد الرجل أن المجلس الإداري الذي اجتمع بقسنطينة في أول أيام الثورة، كان قراره مع الثورة لكنه رأى وجوب التزام الحذر بغية المحافظة على مكتسبات الجمعية، وضمان نشاطها في أداء رسالتها تدعيمها للثورة[3].

وتماشيا مع هذا الموقف ومنذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة، اجتمعت لجنة تحرير البصائر المتكونة من السادة "أحمد توفيق المدني" "وحمزة بوكوشة" "وأحمد سحنون" "وعبد اللطيف سلطاني" "وباعزيز بن عمر" وبحضور "الشيخ العربي التبسي"، والشيخ "محمد خير الدين" واتفق الجميع على أن يتولى المدني تحرير الافتتاحية وتحرير مقال لتغطية أحداث الثورة، بعنوان يوميات الأزمة الجزائرية موضوع السياسة العالمة، وموضوع الابتكارات العلمية[4].

والحق أن المدني كان أمام مسؤولية تاريخية كبيرة، فما يصدر عن البصائر كان يمر على الرقابة الاستعمارية الفرنسية، وتحت أنظار ممثلي جبهة التحرير الوطني، وفي هذا الصدد يقول مترجمنا في مذكراته[5] : "إنني وضعت البصائر منذ اليوم الأول وباتفاق العلماء في صميم المعركة .... ولم يكم الأمر يسيرا، فقد

---

[1] – عمار بوحوش : المرجع السابق، ص 277، ينظر أيضا : أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 3، ص 26–30.

[2] – الفضيل الورتلاني : الجزائر الثائرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 1982م، ص 170–171.

[3] – أحمد توفيق المدني : حياة كفاح، ج 3، المصدر السابق، ص 23.

[4] – تركي رابح عمامرة : "التعريف بجمعية العلماء المسلمين" موقع :www.binbadis.net/dirasat/lire-rabah-torki.htm .

[5] – أحمد توفيق المدني : المصدر السابق، ص ص 62–63.

كان علي أولا أن أتولى النضال عن حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال ... وكان علي ثانيا أن أتجنب في مقالاتي ما تتخذ منه الحكومة ذريعة، للإيقاع بالبصائر وضرب جمعية العلماء .... وكان علي ثالثا أن أعرض كل مقال افتتاحي بصفة سرية بحتة على المكلف من طرف قيادة الثورة".

الفصل الثالث

النشاط الفكري لأحمد توفيق

المبحث الأول: نشاطه الصحفي

كانت الصحافة احدى أهم الوسائل التي استعملها الجزائريون في نشاطهم السياسي وحركتهم الإصلاحية، ويقر الدكتور أبو القاسم سعد الله [1]أن عبارة الصحافة الوطنية في العهد الاستعماري تعني الصحافة المعبرة عن الاتجاهات الوطنية سواء منها المتطرفة أم المعتدلة، وسواء بالغة العربية، أم بالغة الفرنسية.

لقد ظهرت الصحافة الوطنية الجزائرية في مطلع القرن العشرين ضعيفة الإخراج، ركيكة الأسلوب، لكنها اهتمت بالقضايا الوطنية، فكانت صحافة نضال مستمر ضد الفساد والاضطهاد، والقوانين الاستثنائية الظالمة.[2]

ولما كان القانون يجيز حق اصدار الصحف، ظهرت عدة جرائد تحمل وجهات نظر الحركة الإصلاحية، ومبادئها، وتنشر دعوتها، استخدمتها سلاحا خطيرا ضد خصومها من الإدارة الاستعمارية، ورجال الطرقية، وضد كل من أصبح يسير في ركاب المحتلين.[3]

لعل أبرز الصحف التي مثلت التيار الوطني الإصلاحي، نجد" الشهاب"، و"البصائر"، و"الإصلاح" وهي الصحف التي تجند الكثير من العلماء والمصلحين للكتابة فيها.

يعد أحمد توفيق المدني واحدا من الذين تركوا بصماتهم جلية على أعمدتها، والواقع أن النشاط والحس الصحفي لمترجمنا ليس جديدا، بل يعود إلى المراحل الأولى لشبابه وتشاء الظروف أن ينشر أولى مقالاته بإحدى صحف الجزائر، وعمره 15سنة كما مر معنا، ومن ثمة تحركت أحاسيسه الوطنية بتونس، التي كتب في الكثير من صحفها الحزبية أو المستقلة، قبل أن يتم إبعاده حاملا معه قلمه السيّال، وفكره الناضج، وخبرته الصحفية التي أحسن توظيفها في موطنه الأصلي، وخدم بها موطن ولادته الذي لم تنقطع أواصر الاتصال به.[4]

---

[1] –أبو القاسم سعد الله: أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر،ج3، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990،ص87.

[2] –الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1885م،ص94–95.

[3] –عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985،ص33.

[4] –عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية1931–1945م، ص140.

ظل المدني متشبعا بأهمية وقيمة العمل الصحفي، مرددا ما نظمه أبو اليقظان[1]

إن الصحافة للشعوب حياة والشعب من غير اللسان موات.

والحق أن إيمان المدني برسالة الصحافة، ودورها الجهادي، وخدمتها للتطلعات الشعب كان عميقا، ويبرز ذلك جليا في قوله[2]: "وإني لأعتبر نفسي مجرما، إذا أنا عمرت بياض صحيفة بكلام لا يكون من ورائه أي نفع للشعب والبلاد."

ونظرا للظروف الصعبة التي كان كتاب الجرائد والمجلات، يتعرضون لها من قبل الاستعمار الفرنسي، الذي كان دائم المراقبة لهذا النشاط، فقد كانوا يلجأون إلى التوقيع بإمضاءات مستعارة، وحذرا من الإجراءات والعقوبات التي تستخدمها الإدارة ضدهم إما بالسجن أو حجز الجرائد ومنعها من الصدور كما حصل لعشرات الجرائد العربية، وقد بقيت الكثير من الامضاءات مجهولة، مما أدى إلى جهل الكثير من المقالات وأصحابها.[3]

بخصوص أحمد توفيق المدني فالملاحظ أن امضاءاته كانت متنوعة، ولعل أشهرها "المنصور"، و"أبو محمد"، كما وقع عديد المقالات في صحف مختلفة.

1-المدني والشهاب:

لقد كانت الشهاب قبلته فكان المحرر السياسي لها باعتباره من رجال السياسة، الذين تربوا في أحضان الحزب الدستوري التونسي، وعن بدايات مشاركته في الشهاب، ذكر المدني قائلا[4]: "تعهدت لابن باديس وأصحابه، أن أحرر لهم مقالا لكل عدد من الشهاب الأسبوعي، يتناول السياسة الخارجية، كما اتفقنا على أن يكون مقالي خلوا من كل إمضاء حتى لا تتخذ الإدارة من ذلك ذريعة لإلحاق الأذى بالشهاب، بدعوى أنني من رجال اللجنة التنفيذية بالحزب الدستوري التونسي".

---

[1] -محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص20.

[2] -أحمد توفيق المدني، كلمة أخيرة، الشهاب، العدد09،100جوان1927م،ص8

[3] - محمد مرغيت ، المرجع السابق، ص222،221.

[4]-أحمد توفيق المدني:" عبد الحميد بن باديس العظيم"، الأصالة، العدد44، الجزائر :أفريل 1977،ص67.

والظاهر أن جريدة الشهاب قد تميزت بمرونة سياسية، وما ساعدها على الاستمرار في الصدور إلى غاية عام1939م، وكان من كتابها "توفيق المدني" الذي اختص بالكتابة عن المجتمع الجزائري، والشهر السياسي، وهو ما يؤكده أحد المعاصرين الذي قال بأن المدني كان يحرر بالشهاب فصلا بعنوان[1] في المجتمع الجزائري غالبا، ويحرر الشهر السياسي، دائما في حين كان عبد الحميد بن باديس يحرر القسم الديني والقسم العلمي.

والحق أن ركن الشهر السياسي كان ركنا سياسيا محضا، يجعل قراء الشهاب على اطلاع بمجريات الأحداث العالمية خلال شهر، وقد انقسم هذا الركن فيما بعد إلى عناوين هما في "الشمال الإفريقي"، و "الشهر السياسي في عالمي الشرق الغرب".[2]

الحق أن الشيخ أحمد توفيق المدني كان يتعمد الاتخاذ من المناسبات فرصة ذهبية يستغلها بالذكاء، فيحدث الأمة الجزائرية عن مهر الحرية، وثمن الاستقلال، ويغرس في نفوس مواطنيه المبادئ التي تعتنقها الحركة الاستقلالية، ويكاد يكون بعضها صرخة مدوية تهيب بالشعب الجزائري ليطالب بحريته، ويعمل جادا في سبيل الحصول عليها.[3]

إن الأسلوب المعتمد على توجيه الخطاب بطريقة غير مباشرة إلى الاستعمار، يعد من الحيل التي يلجأ إليها كتاب الصحافة المحرمون من حرية الكلمة، بها من عين الرقيب، ويتخذونه موقعا حصينا لتوجيه ضربات إلى صدر العدو، ودون أن ينال منهم.[4]

من بين هذه الصياغات، نورد هده الفقرة التي علق بها المدني، على فشل محادثات الوفدين المصري والفلسطيني مع المسؤولين الانجليز، في مفاوضاتهما الرامية لنيل الاستقلال، فكتب يقول[5]: "قلب صفحات

---

[1] –عبد الكريم بو صفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية1931–1945م،ص140.

[2]–حمزة بوكوشة: مع عبد الحميد بن باديس في ذكراه، مجلة المعرفة، العدد10، الجزائر، أفريل 1964م،15.

[3] –محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص59.

[4] –المرجع نفسه ،ص60.

[5] –الشهاب:ج5،م6، 1930.

التاريخ العالمي، وأنظر في ذلك السجلالأمين، هل تجدن أمة غلبت على أمرها، ونكبت بالاحتلال ثم نالت حريتها منحة من الغاصب، وتنازلا من المستبد، ومنه من المستعبد؟ اللهم كلا، فما عهدنا حرية تعطى، إنما عهدنا الحرية تؤخذ، وما علمنا الاستقلال يمنح ويوهب، إنما علمنا الاستقلال ينال بالجهاد وما رأينا يسجل خيبات للمستجدي".

لقد عبر المدني عن هده المشاعر في أكثر من مرة، وكادت هذه المعاني أن تكون لازمة يفتح بها كل مقالاته السياسة بحسب رأي أحد الكتاب.[1]

وتعليقا على توقف الشهاب عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية1945م كتب المدني في مذكراته يقول:" وهكذا فقدت الآلة الصالحة التي كنت أستعملها في حقل الوطنية السياسية، فقدت أبواب الشهاب التي كانت وسيلتي للاتصال المباشر مع الشعب، ومع الطبقة الواعية فيه."[2]

2-المدني والبصائر:

تعد البصائر، من أهم جرائد الجمعية وخاصة في سلسلتها الثانية التي ظهرت في عام 1947م، ويخيل إلى الباحث في الصحافة العربية بالجزائر في تاريخهاوتطورها، أن كتاب البصائر من الناحية الأدبية أقوى تعبيرا، وأجمل تصويرا، وأغزر مادة من كتاب الشهاب، التي كان يغلب عليها الطابع الديني والفكري.[3]

حسب الدكتور عبد المالك مرتاض فإن أحمد توفيق المدني يشكل القطب الثاني في البصائر بعد الابراهيمي، حيث كان يكتب في البصائر أسبوعيا، ويشرف على تحرير الركن الشهير منبر السياسة العالمية، وكان لهذا المنبر أنصاره الكثيرون من القراء الدين يتابعون باهتمام كبير ما يعرضه.[4]

---

[1] -محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903-1931م، ص394.

[2] -أحمد توفيق المدني،حياة كفاح،ج2،ص274,

[3] -عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر1925-1954،النهضة الفكرية، النهضة الصحفية والأدبية، النهضة التاريخية، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1983ص110ص111.

[4] -المرجع نفسه، ص111.

يرى الأستاذ عبد الرحمان شيبان أن البصائر قد عرفت في عهده ازدهارا كبيرا بما يكتبه في الافتتاحيات، وفي ركنه الشهير ومن خلال التحرير العام للجريدة.[1]

ومن جهته يذهب الدكتور أبو القاسم سعد الله، إلى أن الخطاب السياسي الذي جسده توفيق المدني بالبصائر قد جاوز في طرحه رواد الحركة الإصلاحية كعبد الحميد بن باديس، والبشير الابراهيمي، فالمدني ومن خلال كتاباته بالبصائر في سلسلتها الثانية، قد عالج قضايا العصر بقلم سياسي وهو في ذلك كان معاكسا للإبراهيمي الذي ركن إلى الأسلوب الأدبي.[2] فيما يتعلق بأركان البصائر نفسها، فقد طورها المدني خصوصا بعد التحاقه رسميا بالجمعية وتولي الأمانة العامة سنة1951م، وإذا كان الشائع أن جمعية العلماء بعيدة عن السياسة، فإن البصائر بينت انها خاضت كل الميادين بما فيها السياسية، ولكن بلغتها وطريقتها، فلم تغب أحداث المعرب العربي والعالم الإسلامي، ولا الصراع بين المعسكرين عن صفحاتها، كما رصدت تجاوزات الاستعمار محليا، وفي كل مكان من أصقاع الأرض.[3]

إن غياب معالجة القضايا الجزائرية كان امرا ملفتا في مسيرة البصائر، ويعتقد أن سبب ذلك يعود إلى تفويت الفرصة على الاستعمار، حتى لا يوقف استمرار الجريدة، وبالتالي عدم بلوغ الهدف المنشود من إنشائها، وخدمة قضايا البلدان العربية الأخرى، مع أنها ظلت تتداول مفردات الحرية، والاستقلال، ومسميات الاستعمار، والطغيان، وتبلغ رسالتها بالأسلوب المباشر، أو الرمزية أحيانا تحت غطاء تقديم الحقائق المجردة كما هو الحال في مجريات الثورة الجزائرية.[4]

---

[1] –دبش إسماعيل، السياسة العربية والمواقف الدولية اتجاه الثورة الجزائرية1954–1962،ص90.

[2] –االمرجع نفسه92.

[3] –حميدي أبو بكر الصديق، القضايا العربية من خلال جريدة البصائر، السلسلة الثانية1947–1956م، مدكرة ماجستير، قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة للآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الجزائرن2004،ص16.

[4]–المرجع نفسه،ص12–13.

الحقيقية أن اهتمامات الجريدة كانت تتجاوب مع القضايا الراهنة للأمة، وعن غياب القضايا الجزائرية المعالجة في ركن منبر السياسة العالمية، نشرت البصائر، مقالا تساءل كاتبه عن خلفيات هدا الغياب، موجها خطابه إلى محرر الركن "أحمد توفيق المدني" تحت عنوان "إلى أبي محمد."[1]

الواقع أن المدني كان قد أوضح خطه السياسي بالبصائر مند سنة 1947م، حيث قال: "إذا ما أمسك "أبو محمد" بقلمه وأخذ يسطر فوق القرطاس كلماته، فإنه لا يضع أمامه إلا الحقائق الناصعة، يستجلي أسرارها ويسبر أغرارها، ولا يحكم فيها إلا فكره وضميره، غير خاضع لأي تأثير أجنبي، حزبيا كان أو دوليا أو عاطفيا."[2]

الحق أن النشاط الصحفي لمترجمنا استمر حتى بعد اندلاع الثورة التحريرية المباركة فكان يتابع أحداثها، ويترجم ما يصدر في الصحف الأجنبية عنها.[3]

وصفوة القول أن المدني قدم مساهمات قيمة في طريق بناء الانسان الجزائري فكريا وحضريا، وزرع روح التصدي الاستعمار فيه، وتقوية إيمانه بالهوية الغربية الإسلامية التي قادت في نهاية المطاف إلى الثورة العارمة في الفاتح من نوفمبر1945م، والتي حررت الأرض و الانسان.[4]

[1] –أبو محمد: "من أبي محمد"، البصائر، العدد89، 08أوت 1949،ص5.

[2] –أبو محمد:" كلمة هادئة"، منبر السياسة العالمية، البصائر العدد10، 13أكتوبر1947،ص04.

[3] –أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية1930–1945،ص114–115.

[4] –أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة،ج2،ط1،دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة،1984م،ص271.

المبحث الثاني: أعماله التاريخية.

مع بزوغ القرن العشرين أطلت الجزائر بوجهها الثقافي الجامد، وظهر الستار الحديدي مضروبا حولها حسيا ومعنويا، وما زاد في عزلتها اقتناع الرأي العام الأجنبي، وحتى من الأشقاء من اعتقد بأن الجزائر لا تشكل جزء من العالم العربي أو الاسلامي، إنما هي قطعة فرنسية حسبما أشاعت فرنسا، رغم أنها لم تنفك على اتصال بإخوانها في العالمين العربي والاسلامي بكل الوسائل، متخطية جميع العقبات والحواجز[1]، غير أن الصورة أخذت تتغير.

وهكذا شهدت الجزائر استفاقة ونهضة ثقافية، ونشطت حركة التأليف والاهتمام بالتاريخ والشعر، حيث أصبح الحديث يدور حول الوضعية المتدهورة للشعب الجزائري وعن الوطنية الجزائرية، وعن التاريخ الحافل للعرب[2].

وبرز "أحمد توفيق المدني" بمؤلفاته العديدة والغنية التي تصدرت انتاجات المنشطين الآخرين للحركة الإصلاحية، تشهد له الثقافة الواسعة والموهبة الأدبية الخاصة والمتميزة.

لقد تصدى للكتابة التاريخية في فترة حرجة جدا من تاريخنا الوطني، فمنذ عام 1925م نشط مترجمنا في إخراج كثير من انتاجات التاريخية المختلفة، منها ما كان يصدر في الصحف والمجالات، ومنها ما كان يقدمه إلى المطابع في هيئة كتاب.

والملاحظ أن توفيق المدني لم يكن كاتب مقالات فحسب، شأن ما وجد عند "الإبراهيمي" "وإبن باديس" وكثير ممن سواهما قبل اندلاع الثورة الكبرى، بل كان مؤلفا طويل النفس يتناول مواضيع أكثر ما كانت تاريخية أو جغرافية، وهذا التنوع يبرز ظاهرة هامة جدا في النهضة الأدبية والثقافية المعاصرة في الجزائر[3].

---

[1] – عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون : المرجع السابق، ص 55.

[2] – Fadhila, yahiaoui ; romanet societé coloniale dans l’algeeie de léntre guerres, ENAL, alger ; 1985, P57.

[3] – عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925–1954م، المرجع السابق، ص ص 207–211.

والحق أن "توفيق المدني" بحث في كثير من المواضيع التاريخية المتفرقة، وهذا ليس معناه أنه حاول أن يبحر بفكره وسط مجاهل التاريخ الانساني العام، فذلك ما لم يكد يتاح لمؤرخ جزائري في النصف الأول من القرن العشرين، إنما معناه أن الرجل كان ولعا بالدراسة التاريخية التي تتصل بالجزائر، إذ أنه كان من العسير على أولئك المؤرخين الجزائريين، أن يركزوا اهتمامهم على التاريخ الانساني العام، في وقت كان فيه تاريخهم نفسه بحاجة إلى البحث والإحياء، حيث أن تاريخ الجزائر كتب في أغلب الأحوال من وجهة نظر واحدة، وهي استعمارية بحتة بلا ريب، حين كلف المستشرقون من الفرنسيين وغيرهم بكتابة هذا التاريخ لذلك فلا أحد أجدر من أبنائها للقيام بهذا الدور الحيوي[1].

ويصف الباحث عبد الكريم بوصفصاف المؤرخ المدني بالقول[2] : "لعل المؤرخ الجزائري الوحيد الذي دمج بين الذاتية الجزائرية، والإقليمية المغاربية في كتاباته التاريخية هو أحمد توفيق المدني، كاتب القطرين، وهو من طلائع المؤرخين الجزائريين الذين بدأوا يبحثون في تاريخ الجزائر، قديما وحديثا ومعاصرا في العشرينات من القرن الماضي".

ودعا المؤرخ إلى إلتزام الموضوعية في المعالجة، وأن تكون كتاباته تعبيرا صادقا من أحاسيسه المبنية على الإيمان والاقتناع بسير الأحداث، وإلا عد من رواة القصص، لا من المؤرخين[3].

لقد حرر "المدني" مؤلفات قيمة فتحت أفاقا عريضة وواسعة شكلت قطيعة كاملة بالنسبة للمنشورات التقليدية في ميدان تاريخ الجزائر والمغرب العربي[4].

---

[1] – عبد المالك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925–1954م، المرجع السابق، ص ص 207–208.

[2] – أحمد توفيق المدني : جائزة تقويم المنصور، جريدة المغرب، العدد 1، الجزائر، 26 ماي 1930م، انظر حياة كفاح، ج 2، ص ص 150–151.

[3] – أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 08.

[4] – الجيلالي صاري، محفوظ قداش : الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900–1954م الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص 244.

والمعلوم أن معظم مؤلفاته نشرها بعد نفيه إلى الجزائر، إلا ثلاثة منها نشرها خلال تواجده بتونس، ويمكننا تتبع أعماله التاريخية على النحو الآتي :

1 – تقويم المنصور :

كان في شكل مجلة شمل خمسة أجزاء حيث أصدر الثلاثة الأولى بتونس بداية من عام 1922م، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل السابق وأصدر الجزئين الرابع والخامس في الجزائر سنوات 1926–1929م.

وقد علقت جريدة "الشهاب" على هذا المؤلف بالقول[1] : "تقويم المنصور وهو السفر السنوي الحافل، الذي يدبجه صديقنا أحمد توفيق المدني كل سنة هجرية ... يشتمل ما لذ وطاب من مختلف المواضيع العلمية والأدبية والتاريخية والاجتماعية وغيرها، فحث كل قارئ يهمه رقى العربية والعلم والأدب، أن يسارع إلى توجيه اشتراكه".

اشتمل كتاب "تقويم المنصور" على العديد من الأبواب المتنوعة، وقد لخصها "الشهاب" في تفريض رائع حين كتبت[2] : "تقويم المنصور، تأليف نفيس، علم حي وأدب غض، وتاريخ قومي، ومختارات نفيسة، وقطع فائقة في ستة عشر بابا، المباحث العلمية، المباحث التاريخية، ثمرات من بساتين العلوم، مرآة العالم، طبيب الدار، أكثر الحوادث وأشهر الرجال، قطرنا العربي، العالم الاسلامي، الأقاصيص، عرائس الأفكار، صحائف ربة المنزل، تراجم الرجال، آثار الأقدمين، من كل فاكهة زوجان ... وكفى بهذه الصورة المصغرة منه باعثا لرغبة الأديب فيه، وموجبا لتقدير عمل هذا الكاتب البارع والإعجاب به".

والظاهرة أن صدى الكتاب، وما احتواه من أفكار تحريرية، كانت وراء قرار السلطات الاستعمارية الفرنسية بمصادرة الكتاب من جميع بلاد المغرب العربي في 08 فبراير 1926م[3].

---

[1] – الشهاب : صدى تقويم المنصور لسنة 1926م، العدد 29، 03 جوان 1926م، ص 17.

[2] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 105.

[3] – حدث في العام الهجري (24 رجب) موقع www.islamonline.net

2 – قرطاجنة في أربعة عصور أو تاريخ شمال افريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الاسلامي:

صدر في عام 1927م بتونس ضمن 176 صفحة، تناول تاريخ افريقيا الشمالية خلال أربعة قرون تحت حكم قرطاجة.

يتوزع الكتاب على مقدمة وأربعة أجزاء، اسهله بمقدمة عن دوافع بحثه ومنهجه، أما المقدمة فقد استعرض فيها وصف بلاد المغرب من حيث الجغرافيا الطبيعية والبشرية، وخص القسم الأول لدولة قرطاجنة فتحدث عن نظامها السياسي وعلاقتها مع البربر والحياة العلمية والأدبية على أيامها ودخولها في صراع مع روما، وما ميز ذلك من حروب وتطورات إلى أن تم تخريب قرطاجنة مفسرا عوامل ازدهارها وخرابها.

والقسم الثاني خصصه للحديث عن قرطاجنة على عهد الحكم الروماني، وما وقع من حروب بين البربر والرومان وعن حياة السياسة والنظم الرومانية، ثم أبرز نتائج الاحتلال الروماني[1].

وفي القسم الثالث تطرق لقرطاجنة الوندالية، مبينا سياسة الوندال التخريبية بالبلاد إلى أن اصطدموا بالروم، الذين ورثوا افريقيا الشمالية.

وكان الجزء الرابع عن الرومان وحالة البربر في عهدهم إلى مجيء الفتح الإسلامي العربي، الذي استعرض سيره إلى سقوط الكاهنة، ثم الخاتمة وكانت عن العرب والبربر وأسباب تقبل البربر للإسلام.

وحسب الدكتور "أبو قاسم سعد الله" فإن الكتاب قد تناول تاريخ شمال افريقيا بمنظار وحدوي مغاربي، محاولا تحقيق الاستمرارية الحضارية والارتباط شمال افريقيا، وكان هذا الاهتمام بالتاريخ القديم للمنطقة مرتبطا بالمستقبل السياسي لها.

[1] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 179.

3 – كتاب الجزائر :

ظهر في عام 1931م، وجاء ردا على الاحتفالات السنوية الفرنسية الجارحة، وتتويجا لرد فعل الشيخ أحمد توفيق المدني على ذلك فكان معارضة صريحة للطرح الفرنسي المزيف للتاريخ وعنوانا لتجذور الوطنية الجزائرية وقد لقى تنويها وتقديرا حارا من الشهاب[1].

والحق أن مترجمنا قد رفع شعارات الهوية الوطنية بوضعه على غلاف الكتاب ثلاثية "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"، وعالج مشكلة الفراغ الذهني التاريخي لدى الشباب الجزائري.

ووصفه مؤلفه "المدني" بالقول[2]: "هذا القول صورة حقيقية لقطر الجزائر، لم ترسها، ريشة مصور إنما رسمها قلم باحث جعل همه ذكر الحقائق كما هي".

يتوزع الكتاب على أربعة عشر قسما، يمكن تقييمها إلى ثلاثة مواضيع هي التاريخ والجغرافيا والحالة الراهنة(1930م).

4 – محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791م :

صدر الكتاب سنة 1937م وهو عن حياة أطول الدايات حكما، ويقع في 191 صفحة وكان الهدف من تأليفه إماطة اللثام عن حقيقة الوجود العثماني بالجزائر وتكذيب الخرافات التي اصطنعها الاستعمار من أجل تشويه ذلك الوجود.

اشتمل الكتاب على مقدمة وهي تمهيد دراسة التاريخ التركي في القطر الجزائري، وأربعة أقسام عرض في القسم الأول منها خلاصة من الولاة والحوادث في العصر التركي من عام 1515م إلى 1830م.

وخصص القسم الثنائي للحديث عن سيرة محمد عثمان باشا وهو أهم جزء تعرض فيه إلى توليه الحكم، وسيرته ونشاطاته الداخلية والخارجية.

---

[1] – صالح خرفي : الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث، الثقافة، العدد 01، الجزائر، مارس 1971م، ص 53.

[2] – أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص 373.

أما القسم الثالث فنقل من خلاله إلينا أهم ما كتب بدفتر التشريفات، وهو السجل الرسمي الحكومي الذي كانت الإدارة التركية بالجزائر ترسم فيه أعمالها ومذكراتها العامة.

وعالج في القسم الأخير مقتطفات من مذكرات المستشرق الفرنسي "فونتير دي باردي" والمتعلقة بعصر عثمان باشا، وقد دعم المؤلف الكتاب بعشرين صورة متنوعة[1].

5 – المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا :

صدر سنة 1946م، يقع هذا الكتاب في 256 صفحة وقد ذكر المدني دوافع تأليفه فقال[2]: "صفحة التاريخ الإسلامي بصقلية لم تكتب بعد، لم يقيض الله لها من يفردها بدراسة قيمة ... فيكاد يخيل إليك وأنت تتلو كتب التاريخ القديمة، أن مقام المسلمين بصقلية ما كان إلا سلسلة حروب وفتن واضطرابات ... في هيكل تاريخنا القومي العربي".

ودعا المدني إلى تنشيط حركة الكتابة حول المدينة الإسلامية بهذه الجزيرة لإبراز الحضارة الإسلامية وإعطاء وجه مشرق للتواجد العربي بالمنطقة.

وعن محتوى الكتاب فقد قسمه إلى مقدمة وتسعة أقسام، وقد وصفه محمد قنانش قائلا[3]: "إن هذا الكتاب تحفة نادرة، ودرة نفيسة في جبين التاريخ الإسلامي، فهو معلمة تاريخية وأدبية عن جزيرة صقلية".

6 – جغرافية القطر الجزائري :

طبع بالجزائر سنة 1948م وهو أول كتاب من نوعه بالعربية، موجه إلى طلبة المدارس التي تشرفت عليها جمعية العلماء المسلمين، سد هذا المؤلف فراغا كبيرا وربط فيه بين التاريخ والجغرافيا، وملأ بالمشاعر

[1] – أحمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791م، ص 121.

[2] – أحمد توفيق المدني : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 04.

[3] – عبد القادر خليفي: المرجع السابق، ص 113.

السياسية الوطنية[1]، وقد جاء في تقديم المدني لكتابه قوله: "فهذا أول كتاب جغرافي، وضع عن القطر الجزائري المحبوب".

تميز أسلوب الكتاب الذي جاء في 143 صفحة بالوضوح وبالعرض الممتاز الذي يدفع إلى القراءة والمطالعة، تضمن معلومات مركزة واحصائيات وجداول حديثة على شاكلة الكتب العصرية، وقد رسم المؤلف على صفحة الغلاف الشعار الثلاثي الشهير "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا".

شمل هذا الكتاب على ثلاثة أقسام، خصص الأول منها للجغرافيا الطبيعية، أما القسم الثاني فعالج الاقتصادية، واستعرض في القسم الأخير الحالة السياسية.

7 – حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792م :

صدر بالجزائر سنة 1968م، والكتاب كما هو واضح من عنوانه، تاريخ أحداث العسكرية وسياسة، دار معظمها على شواطئ الجزائر بمواقع متعمقة بالداخل، وقد اتسع سرد تلك الأحداث بشيء من الإسهاب والتفصيل، مما جعل الكتاب من أكثر المؤلفات باللغة العربية توسعا في هذا الموضوع، وأوفرها مادة[2].

جاء محتوى الكتاب في تمهيد طويل عن الثلاثة قرون التي سبقت صلة الجزائريين بالعثمانيين، وتسعة عشر فصلا، جعل تحت كل فصل عناوين فرعية، نظمت بطريقة مدرسية تساعد القارئ المتسرع على العثور على ما يريد[3].

8 – مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754–1830م :

الكتب عبارة عن تحقيق لمذكرات نقيب أشراف الجزائر، مصدر بالجزائر سنة 1974م وجاء في 196 صفحة.

---

[1] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 114.

[2] – محمد البشير شنيتي : لمحة عن كتاب حرب الثلاثمئة سنة للمرحوم الشيخ أحمد توفيق المدني "مجلة التاريخ"، العدد 18، الجزائر، نصف أول من سنة 1985م، ص 154.

[3] – أبو قاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص ص 348–349.

وقد أورد المؤلف في المقدمة أسباب التأليف فقال[1]: "إنني حين أقدم هذا الكتاب للشعب الجزائري إنما أقوم بأداء واجبين .... أولهما أني أضع وثيقة جديدة صادقة في سجل تاريخ العهد العثماني الطويل بهذه البلاد الجزائرية .... وثانيهما أنني أفي بعهد قطعته لسيد فاضل من رجال الجزائر القدماء هو الشيخ سيدي محمد الشريف".

إن المذكرات المحققة مقسمة إلى قسمين، يعتقد أن أول منها قد ضاع، أما الثاني فيبدأ من سنة 1168 هـ، وينتهي بالاحتلال الفرنسي، وهذا القسم قدمه "المدني" بعد أن عثر على النسخة الوحيدة منه لدى الشيخ محمود الشريف حفيد المؤلف...

يمثل الكتاب الأحداث التاريخية التي وقعت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر إلى غاية وقوع احتلال.

وإجمالا قد كانت الحركة التأليفية للمدني نشطة، حيث استطاع رغم مساهمته المتنوعة في الميادين الأخرى أن يدعم المكتبة العربية الجزائرية بمؤلفات كانت في أمس الحاجة إليها تلك الفترة[2].

[1] – أحمد توفيق المدني : مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754–1830م، المصدر السابق، ص 05.

[2] – عبد القادر خليفي : المرجع السابق، ص 119.

المبحث الثالث: نشاطه الجمعوي والأدبي

إن المتتبع لمسيرة "أحمد توفيق المدني" يرصد تلك الاهتمامات التي أظهرها الرجل بالعمل الجمعوي، والفني، وبالتالي فقد شكلت محطات أثرت رصيده النضالي.

أولا: الفن المسرحي:

الحقيقة أن علاقة المدني بالمسرح ترجع إلى المرحلة التي عاشها بتونس، فقد كانت له تجربة مسرحية هامة، خاصة على رأس " فرقة السعادة".

خلال استقراره بالجزائر عاين ركود الحالة الثقافية، وخاصة ما تعلق منها بفن المسرح، حيث وصف الحالة بالقول:[1]" لعل قطر الجزائر، بعد جزيرة العرب هو القطر الإسلامي الوحيد الدي لم يدرك بعد أهمية التمثيل، ولم ينشأ به المسرح العربي، ولم يشعر شعبه حتى الساعة بوجود ذلك النقص العظيم".

يتفق الأدباء والمؤرخون على أن السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية، كانت حاسمة ومؤثرة في الإنتاج الأدبي الجزائري، حيث عرفت انطلاقة كبيرة للحياة السياسية إلى جانب التزام أدبي واضح للكاتب، فالملاحظ أن المفكرين من رجال أدب وكتاب طرحوا مشكلة الشخصية الوطنية، وبدلك رفعوا الستار عن مأساة الشعب الجزائري وتناقضاتها، ومن هده الانتاجات مسرحية حنبعل التي صدرت سنة 1950م.[2]

وعن ظروف تأليف هده المسرحية وأهدافها فذكر الشيخ" أحمد توفيق المدني" أنها جاءت استفزاز للمشاعر الوطنية، ودفعا لروح المقاومة، بعد سلسلة الخيبات المتوالية في ميدان السياسة بالشمال الافريقي، ونكبة فلسطين.[3]

---

[1] –أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار الكتاب، البلدية،ط2، الجزائر1963م،ص342.

[2] –فاطمة حمدي: المشكل الثقافي في الحركة الوطنية الجزائرية1950–1954م من خلال بعض أشكال التعابير الفنية والأدبية، دبلوم دراسات معمقة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر:1981 ص108.

[3] –أحمد توفيق المدني، حياة كفاح،ج2، ص392,

كانت مسرحية حنبعل التي قام بتمثيلها رائد المسرح الجزائري "محي الدين باشطرزي" بمسرح الأوبرا بالجزائر العاصمة يوم 09أفريل 1948م، حيث عرضت نهارا للنساء، وليلا للرجال، وتناولتها حسب المؤلف إذاعة لندن، ومثلت بالجزائر وتونس أكثر من مائتي 200مرة.[1]

المسرحية عبارة عن دراما سياسية، تتكون من أربعة فصول، تدور أحداثها حول شخصية القائد القرطاجي "حنبعل"، وقدمت باللغة العربية الفصحى بالرغم من أن التمثيل آنذاك كان بالدارجة في أغلب الأحيان، إلا أن التمثيل بالفصحى قد حظي بمنزلة عالية ولدلك فقد أحرزت هده المسرحية حسب المعاصرين نجاحا باهرا.[2]

لم يكن اختيار عنوان "حنبعل" من باب الصدفة، فهدا البطل يرمز للوحدة و التضحية في سبيل الوطن، كما أن اختيار الظروف الزمانية والمكانية دليل على واقعية المؤلف حيث جاءت مسرحيته في وقت كانت الجزائر تعيش فترة هدوء ما قبل العاصفة. [3] الحق أن فصول المسرحية جاءت مملوءة بالوطنية والنداء للمقاومة بمضمونها، ولغتها الخطابية، وقوة أسلوبها، وإن الأفكار المعروضة تدعوا إلى تحطيم قيود العبودية والاستغلال، وهي أفكار ثورية تؤثر على أفكار الجمهور، وتحرضه على الكفاح ضد المستعمر.[4]

لم يلجأ" توفيق المدني" إلى التأويل، بل حافظ على سير الأحداث التاريخية للمسرحية، فقد أعطى الأحداث بعدا وطنيا، ونزعة سياسية واضحة، علاوة أن واقعيته ومنهجيته في إيصال الرسالة للجمهور خدم المسرحية، وجعلها ناجحة، إذ تمكن من تخليصها من الأبعاد الزمانية وحورها لتصبح وكأنها تحدث في الحاضر.[5]

الحقيقة أن مترجمنا استطاع أن يضمن المسرحية مقولات مؤثرة جدا، عقب كل فصل لإنزال الستار، ومن ذلك قوله على لسان حنبعل" نحن قوم نعيش أحرارا، أو نموت شرفا، وإن طغيان روما سيمضى، وسيمضي من

---

[1] –أحمد توفيق المدني، حياة كفاح،ج2، ص392.

[2] –نور الدين عمرون، المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، ط1، شركة باتنيت، باتنة، الجزائر، 2006، ص126.

[3] –زرقية،" المسرح الجزائري" الشعب الثقافي، العدد10، الجزائر،01نوفمبر1972،ص32.

[4] –أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بلا تاريخ،ص66.

[5] –عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر1931–1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983،ص21.

بعده كل طغيان آخر، ولا حياة إلا للأمم الشاعرة بوجودها، المجاهدة في سبيل حريتها، المحافظة على كيانها ووحدتها".

والملاحظ أن المدني امتلك شجاعة أدبية كبيرة في التصريح بأراء تهدد وجود فرنسا، في وقت كانت الرقابة الفرنسية واقفة بالمرصاد لكل جريء يدلي بمواقف حول قضيتي العدالة والحرية.[1]

ثانيا: تأسيس نادي الترقي:

لقد ظهرت النوادي في الجزائر في كل من العاصمة وقسنطينة ابتداء من سنة 1893م، وكانت الأرضية التي تبنت فيها فكرة إنشاء صحافة جزائرية عربية،[2] غير أن نادي الترقي اختلفت رسالته عن النوادي التي سبقته، إذ كان يهدف إلى الرقي الديني والاجتماعي، والأخذ بأسباب التقدم، وأن الغرض من تأسيسه هو طرح ومناقشة الوضعية العامة التي آلت إليها الجزائر العاصمة في العشرينيات.

وعن ظروف تأسيس هدا النادي وتسميته ذكر" أحمد توفيق المدني" أنه خلال حفل أقيم بمنزل "محمد بن المرابط" وهومن كبار التجار بمدينة الجزائر في صيف 1926م، حضره 320 رجلا من أعيان وفضلاء العاصمة، تم خلاله التداول حول أوضاع الجزائر وآفاقها، وبعد مناقشات عديدة اقترح" المدني" فكرة انشاء النادي، واعطائه التسمية التي عرف بها، فلقيت الفكرة استحسان الحاضرين، الذين تكلف جمع منهم بقيادة" محمد بن ونيش" و"محمد بن المرابط" بإيجاد المقر الذي حدد بباحة الحكومة، ساحة الشهداء حاليا، واختيرت له قاعة فسيحة تستوعب 700شخص.[3]

من ناحية أخرى تكفل كل من "يحي بن مرابط" و"قدور بن مرابط" بمساعدة أحمد توفيق المدني بتحرير القانون الأساسي للنادي، هكذا بعد نضوج الفكرة واستكمال جميع الترتيبات، افتتح النادي رسميا في 0-

[1]-الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر،ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982،ص28.

[2] -المرجع نفسه،ص29.

[3]-أحمد توفيق المدني، حياة كفاح،ج2،ص110-112.

3جويلية1927، وأسندت الرئاسة إلى "محمد بن ونيش"، في حين آثر مترجمنا عدم الانضمام الرسمي للمجلس الإداري، حتى يبعد عن النادي شبهت العلاقة بالحزب الدستوري التونسي.[1]

وتعليقا على ميلاد النادي كتبت صحيفة "الشهاب" مقالا بعنوان "أعظم ناد وإن كان بعد 100عام" قالت فيه:" للشعب الجزائري اليوم ان يبتهج بتأسيس ناد ضخم بعاصمة الجزائر، باسم نادي الترقي، وهي خطوة واسعة إلى الأمام بل هي طفرة متى نظرنا إلى الركود الطويل، أو الماضي المحافظ بالغموض، أو إلى سبات مائة عام.[2]يعتقد الدكتور "أبو القاسم سعد الله"، أن "توفيق المدني" بعد عودته إلى الجزائر مبعدا من تونس، وجد ركودا بالعاصمة، فتجند رفقة بعض المحسنين الذين يطمحون إلي التجديد، ويتصفون بالغيرة على مكونات الهوية الوطنية، ويفتقرون إلى القيادة، وهو ما توفر في شخصية "المدني" الذي كان يمتلك روح المبادرة والقيادة، وهي مكتسبات حملها معه من تونس، لذلك أعطى دفعا قويا للنادي، الذي تحول إلى مركز إشعاع، ومنبرا للوعظ والإرشاد وإلقاء المحاضرات. [3]

وعقب ميلاد النادي راسل المدني "الامام عبد الحميد بن باديس" طالبا منه افتتاح سلسلة المحاضرات العامة، وهو مالقي ترحيبا من العلامة الذي ألقى أول المحاضرات في 18جويلية1927م، بعنوان الاجتماع والنوادي عند العرب.[4]

أوردت صحيفة" الشهاب" أجواء هذا الاحتفال مثيرة إلى الترحيب الكبير **الذي** حظي به ابن باديس من طرف أعضاء النادي، وخاصة "أحمد توفيق المدني" الذي ألقى خطابا وصفه صاحب المقال المنشور بالشهاب بأنه كان مؤثرا اهتزت له النفوسالخامدة بل الناهضة.

خلال احتفال أقيم بالنادي في 25جويلية1928م تكريما لعودة الحجاج من البقاع المقدسة، وكان في مقدمة مخاطبيهم، حيث لعب دور الخطيب الإسلامي والوطني في آن واحد، أما كونه إسلاميا فإن الرجل قد عدد فضائل الحج، وذكر منافعه العائدة على المسلمين كأنه أحد المخصصين في هدا الموضوع، أما الدور الوطني

---

[1]–محمد العاصمي، أعظم ناد بالجزائر وإن كان بعد 100عام، الشهاب، العدد108، 04أوت1927م، ص08.

[2] –المرجع نفسه، ص08

[3] –الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائرص31.

[4] –أحمد توفيق المدني، حياة كفاح،ج2،ص113.

فقد ذكر الناس بواجباتهم نحو وطنهم، وأخذ يجتث تلك الفروق التي بقيت من بقايا الجاهلية الأولى، فأنس الناس بكلامه، وصفقوا له عدة مرات.[1]

الواقع أن نشطات النادي لم تكن لتقتصر على الحياة الوطنية، بل شكل منبرا للتضامن مع الأشقاء العرب، وتقوية الروابط، ومن ذلك عضوية المدني للجنة الاحتفال التي ضمت كذلك" محمد العيد آل خليفة" "الأمين العمودي"، "عبد الرحمان ياسين"، "محمد السعيد الزاهري"، "مفدي زكريا"، "سالمي فاتح"، و "با سعيد عدون" وهذا بمناسبة تأبين الشاعرين العربين العظيمين "حافظ إبراهيم" و"أحمد شوقي" في يوم22فيفري1933م، وهي تظاهرة ثقافية ذات أبعاد مرتبطة بالدين أو القومية العربية.[2]

يرى الدكتور "تركي رابح" أن النادي يعتبر من الهيئات التي ساهمت في دعم حركة التعليم العرب الحر منذ وقت مبكر، وكان مركز النشاط جمعية العلماء بعد تكوينها سنة1931م، بل كان المكان الذي تبلورت فيه فكرة تكوينها، وإخراجها من حيز الأماني إلى حيز الوجود والواقع.

فالنادي احتضن معظم الهيئات الجزائرية ذات الاتجاه العربي الإسلامي منذ تأسيسه حتى نهاية الاحتلال العام1962م، وشكل منبرا للمحاضرات العلمية باللغة العربية وفضاء للدروس الدينية والاجتماعية التي تعالج أمراض ومشاكل المجتمع الجزائري على ضوء تعاليم الإسلام، وأحكام الشريعة. [3]

لقد كان من الآثار الإيجابية أن شهد النادي القيام بتأسيس جمعية الفلاح تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية تكوين لجنة إعانة فلسطين محاولة تكوين البنك الإسلامي اجتماع مؤتمر طلاب شمال إفريقيا.[4]

ثالثا: نشاطه في الجمعية الخيرية الإسلامية:

تأسست الجمعية الخيرية الإسلامية بالجزائر العاصمة في أواخر سنة1933م والخيرية الإسلامية جمعية بر وإحسان، من ثمرات جهود بعض المصلحين والأعيان العاملين بنادي الترقي يتقدمهم "الطيب العقبي"

[1] –محمد العاصمي "مشهدان عظيمان بالعاصمة"، الشهاب، العدد17،122نوفمبر1927م،ص2–6.

[2] –محمد ناصر، مقالة الصحف العربية الجزائرية1931–1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980،ص138.

[3] –تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية1931–1956م،ط2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1981،ص232.

[4] –أحمد توفيق المدني، حياة كفاح،ج2،ص114.

و"محمود بن ونيش" و"عباس تركي"، و"محمد الشريف الزهار" و "محمد بن الباي" و "أحمد توفيق المدني" وغيرهم، وقدجاء في القانون الأساسي للجمعية الخيرية الذي تضمن خمسة فصول، أنها تعمل على إسعاف المعوزين من الأفراد والعائلات ماديا ومعنويا، وإعانة عابري السبيل ومساعدتهم على الرجوع إلى أوطانهم.[1]

بعد انتخاب الهيئة الإدارية للجمعية الخيرية أسندت رئاستها إلى "العقبي" بالإجماع وكانت الخيرية تعقد دورة عادية في السنة كما تعقد دورة استثنائية إذ تطلب الأمر ذلك وبطلب من ثلثي أعضاء المجلس الإداري المنتخب، وكان هدف دورتها تقييم نشاطاتها السنوية وجمع التبرعات، مع دراسة إمكانية توسيع فروع الخيرية كما حدث في السنوات الأولى من تأسيسها.[2] كان اجتماع الخيرية بمثابة مهرجان اجتماعي، وأدبي تلقى فيه الخطب والأشعار، وقد حضره أعضاء جمعية العلماء، ورئيسها "عبد الحميد بن باديس"، وبعد افتتاحية "العقبي" ألقى المدني كلمة وصفتها الشهاب بالمؤثرة والتي قوطعت بالتصفيق مرارا بين فيها واجبات الأمة نحو البائسين، مستنهضا الهمم، داعيا الأغنياء إلى التجند لمساعدة الأطفال العاطلين عن العمل والفقراء.[3]

في أوائل عام1940م، وباقتراح من أعضاء الجمعية الخيرية، تم انتخاب الهيئة الإدارية الجديدة، وقلص أفرادها، وانتخب "العقبي" بالإجماع رئيسا لها، وأحمد توفيق المدني"، نائبا أولا، و"محمد الشريف الزهار" كاتبا عاما، و"الحاج يوسف دامرجي" مراقبا عاما.[4]

ولم تتوقف الخيرية عم إيواء لبن السبيل، وتربية الجيل الصاعد أخلاقيا ومهنيا، بل تعدت ذلك إلى العلاج المجاني، ففتحت عيادة لمعاينة المرضى وتطبيبهم، وكونت مجلسا إداريا للهيئة الطبية يتشكل من خمسة أعضاء، وهم دكاترة متخصصون في مختلف الأمراض.[5]

---

[1] –أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في القضية الوطنية، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1992،ص332.

[2] –المرجع نفسه،ص334.

[3] –الشهاب: "اليوم الأغر في عاصمة الجزائر"، ج5،م10،أفريل 1934م، ص243.

[4] –جريدة الإصلاح: العدد28،17جانفي1940.

[5] –جريدة الإصلاح: العدد55،11جويلية1947.

والواقع أن هده الجمعية كانت متفتحة على محيطها الخارجي، ولها علاقات بجمعية العلماء، وغيرها من الجمعيات، والظاهر أن الخيرية استهدفت من وراء ذلك النشاط التقرب من المواطن، وكسب الدعم المادي والمعنوي، وقد تزايد صداها مع مرور الزمن.

خلال حفلاتها السنوية كانت تعرض كل ما توصلت إليه من أنشطة ثقافية ومهنية وكانت تجمعاتها يغلب عليها الطابع الإسلامي كتلاوة القرآن وترديد الأناشيد الإسلامية، وتمثيل المسرحيات، والروايات الإسلامية الهادفة التي كانت تقدمها فرقة الكشافة التابعة للخيرية، كما تخصص أجنحة لعرض إنتاجات الأشغال اليدوية المنجزة من طرف الأطفال والفتيات.[1]

على الرغم من أن أنشطة الجمعية لم تكن بمنأى عن رقابة السلطات الاستعمارية، إلا أن هذه الأخيرة كانت تقدم بعض الدعم المادي لها، وحسب المترجم له فإن ميزانية الجمعية وصلت سنة1949م إلى أربعة ملايين فرنك، حيث لم تتعد المساهمة الفرنسية 700ألف فرنك أما الباقي فهو تبرعات الأمة الجزائرية.[2]

والظاهر أن الخلافات دبت في السنوات الأخيرة بين الشيخ" الطيب العقبي" و" الشيخ" أحمد توفيق المدني" خاصة عندما عارض وألغى رئيس الجمعية قرارا اتخذه مجلسها برئاسة المدني يقضي بتقديم مساعدة مادية مالية للتونسيين بعد نكبة طبيعية، مما أدى إلى استقالة "المدني" من أعمال الجمعية[3].

خلاصة القول أن "المدني" قد كان صاحب نصيب في نشاط الجمعية، التي أولاها عناية خاصة وشارك إلى جانب زملائه في رفع الغبن عن مئات المتشردين، وتكوين العقول وذلك وسط ظروف استعمارية قاهرة.

[1] –أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في القضية الوطنية، ص339.

[2] –أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2،ص111.

[3] –أحمد توفيق المدني، رد أديب على حملة الأكاذيب، مخطوط، ص239.

الخاتمة

الخاتمـة

من خلال دراستنا لموضوع المراحل التاريخية لأحمد توفيق المدني، يمكننا استخلاص الاستنتاجات التالية:

- كان لأم المدني دورا بارزا في تشكيل شخصيته، وصناعة مستقبله الفكري والسياسي على الصعيدين الوطني والعربي، وذلك من خلال القيم الدينية والأخلاقية التي تربى عليها، دون أن ننسى فضل والده الذي تعلم منه صفات الرجولة والتضحية.
- مراحل تعليمه الأولى والتي بدأها في سن الخامسة من عمره، تلقاها واكتسبها من القرآن الكريم، حيث واصل دراسته بالمدرسة الخلدونية خرج منها مشبعا بمختلف العلوم اللغوية، بعدها أكمل دراسته بجامع الزيتونة بتونس، وقد تتلمذ المدني على يد الشيوخ الذين كانت لهم قدرة علمية وكفاءة عالية وفضل كبير في تكوينه.
- كانت اسهاماته الأولى في الفكر والأدب متنوعة، فعلى الصعيد الفكري تمثل في نشاطه الصحفي الذي دخل لهذا المجال وهو في سن مبكر، إذ كان اهتمامه في خذا المجال واسعا من خلال تأليفه لبعض الصحف والمجلات، أما على الصعيد الأدبي فقد تربع على عرش الأدب من خلال تأسيسه للرابطة العلمية، وهذا للدفاع عن حرية العلم والفكر، كذلك العمل المسرحي الذي أبدى اهتمامه بجوانبه الفنية من خلال عرضه لبعض المسرحيات.
- استطاع المدني ان يتبوأ مكانة مرموقة ضمن التيار السياسي التونسي باعتلائه مناصب قيادية عليا في هيكل الحزب الدستوري الحر، وأن يكسب شعبية كبيرة عند كافة التونسيين، الذين لم يكن كثير منهم يعرف الأصول الجزائرية لهذا الوطني الغيور على القيم الحضرية لأمته.
- كان بقدوم المدني إلى الجزائر الأثر الايجابي على الحركة الإصلاحية فيها، حيث ساهم في تأسيس أهم نادي وهو نادي الترقي 1927م، الذي احتضن العديد من المؤتمرات التي حضرها المدني، كما ألقى فيه البحوث والمحاضرات في عدة ملتقيات علمية وثقافية وكذلك أدبية، حيث نشأت بفضل هذا النادي العديد من الجمعيات التي لعبت دورا كبيرا في النهوض بالحركة الوطنية الجزائرية ونشاطها في توعية الشعب الجزائري.

الخاتمـة

- كان للمدني مساهمات في ساحة السياسة الوطنية الجزائرية، حيث وظف كل طاقته وإمكاناته من أجل الدفاع عن القضية الجزائرية، وعمل من أجل فضح السياسة الاستعمارية والإجراءات التعسفية المطبقة ضد الشعب الجزائري من خلال مؤلفاته ومشاركته في الملتقيات المختلفة.
- من أهم أعماله على الساحة السياسية مشاركته في تحرير بيان الشعب الجزائري عام 1943م، مع فرحات عباس الذي يعبر عن آمال وتطلعات الأمة الجزائرية وسعيها لتحقيق الإستقلال.
- شارك المدني في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واحتك برواد النهضة والإصلاح في الجزائر وعمل معهم العلامة عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي.
- إلتزامه بالتعريف بالقضية الوطنية في إطار مبادئ إصلاحية تقوم بالحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمع الجزائري.
- احتضان الشيخ أحمد توفيق المدني الثورة الجزائرية منذ إعلان انطلاقتها وإقحام صحيفة الجريدة الرسمية البصائر في مسرح المعركة، بإلتزام خط مرونة ظاهرية لإبقائها صوتا يوازي طلقات بندقية المجاهدين، وتجنده رفقة قيادات الجمعية لخدمة الأهداف الكبرى للثورة التحريرية.
- إلتحاقه بالوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة، وإعطائه دفعة قوية للحرب الإعلامية والصحفية للثورة، بحضوره الدائم والفعال في أكثر من موقع مشاركا ومنشطا لمؤتمرات صحفية، وأيام إعلامية، واحتفالات أعياد الثورة وإعداد الرسائل الإذاعية لعرض القضية الوطنية وتكذيب الدعاية الفرنسية المشككة في حقيقة الثورة وهويتها.
- إن الحضور الصحفي للمدني كان متميزا نتيجة الخبرة الصحفية التي خاضها في تونس، قارئا أو مساهما مما أعطى دفعا للحركة الصحفية العلماتية والإصلاحية عموميا الناطقة بالعربية، فالرجل صال وجال في صحيفة الشهاب 10 سنين، كما منح البصائر السلسة الثانية 1947-1956م صبغة عصرية، جعلت الصحيفة منفتحة على الحدث العالمي وحولها إلى فضاء لمحاكمة الاستعمار.
- لقد حرر المدني مؤلفات قيمة، فتحت آفاق عريضة وواسعة شكلت قطيعة كاملة بالنسبة للمنشورات التقلدية في ميدان تاريخ الجزائر والمغرب العربي والمعلوم أن معظم مؤلفاته نشرها بعد نفيه إلى الجزائر، إلا ثلاثة

منها نشرها خلال تواجده بتونس من بين أعماله نجد تقويم المنصور، جغرافية القطر الجزائري، كتاب الجزائر.

- أبدى المدني اهتماما بالغا بالفن المسرحي ودعا إلى بعث فرق مسرحية لتنشيط الركود الفني، بما يخدم الثقافة العربية الأصيلة، ويخفف من الإحتقان النفسي الذي يقاسيه الشعب الجزائري، كما عمل على تحرير وسائل غاية في خطورة لإستنهاض بهمم الجزائريين.
- الحق أن التراث الذي تركه المدني لأمة نتيجة ذكائه الفائق، وتمسكه بمبادئه الذي مكنته من أن يحظى بمنزلة من المحية والإكبار والتقدير من طرف رفاقه وأساتذته، ما جعله قطب من أقطاب النهضة والفكر السياسي المتنور في الجزائر القرن العشرين .

الملاحق

الملحق رقم : 01

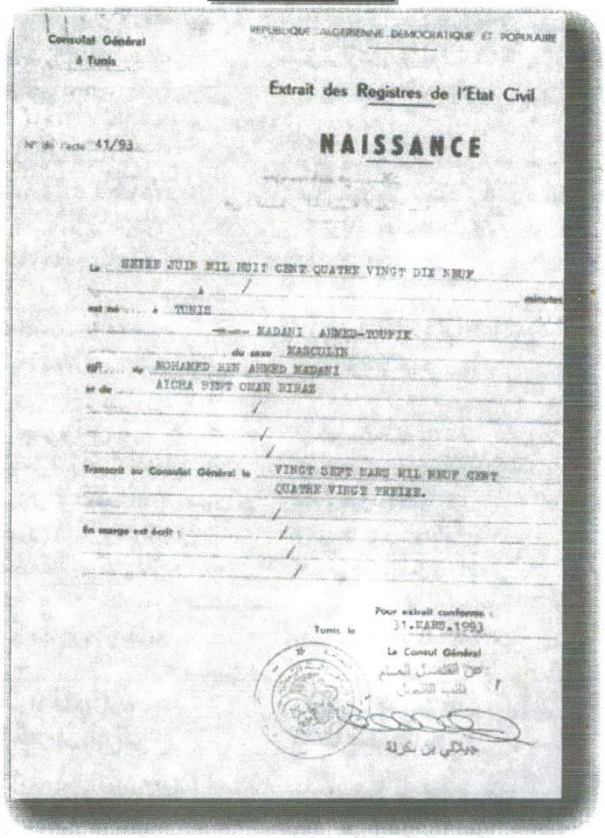

Consulat Général
à Tunis

RÉPUBLIQUE ALGÉRIENNE DÉMOCRATIQUE ET POPULAIRE

Extrait des Registres de l'Etat Civil

NAISSANCE

N° de l'acte 41/93

Le SEIZE JUIN MIL NEUF CENT QUATRE VINGT DIX NEUF
à / minutes
est né à TUNIS
NADANI AHMED-TOUFIK
du sexe MASCULIN
fils de MOHAMED BEN AHMED NADANI
et de AICHA BINT OMAR BIRAS

Transcrit au Consulat Général le VINGT SEPT MARS MIL NEUF CENT QUATRE VINGT TREIZE.

En marge est écrit :

Pour extrait conforme :
Tunis le 31.MARS.1993
Le Consul Général

شهادة ميلاد أحمد توفيق المدني

المصدر : أرشيف خاص بعائلة المدني

453

الملحق رقم : 03

504
0681 Algérie
Non-travailleur
REPUBLIQUE FRANÇAISE
CARTE D'IDENTITÉ
" PROTÉGÉ FRANÇAIS "
(valable pour la durée du séjour en Algérie)
Nom : Mgdaud
Prénoms : Ahmed Zeyk ben M'Hamed
Nom du père : M'Hamed
Nom de la mère : Bouiaz Aicha
Date de naissance : 1919
Douar : Kasrine
Tribu :
Contrôle civil
Bureau militaire
Domicile en Algérie : 1 Rue Berbrugger
Profession : Commerçant
Nationalité : Tunisienne
Pièces justificatives produites :
délivrée par M. le Préfet
de Alger
le 12 JUIN 194
Pour le Préfet :
Le Chef de Bureau délégué
Empreinte du pouce droit
(à l'encre grasse)
Timbre de la
SIGNALEMENT
Taille :
Nez :
Bouche :
Barbe :
Signes particuliers :
Non Valable pour les Départements de MOSELLE, HAUT-RHIN, BAS-RHIN
N. B. — Tout défaut de déclaration de changement de domicile entraînera le retrait de cette carte d'identité et le refoulement de son titulaire.
(1) Rayer la mention inutile.

ورقة جنسية تونسية
مسلمة من دار عامل ب مدينة الجزائر
(...) شهادة سنج بلدية تونس

بطاقة الهوية لأحمد توفيق المدني

المصدر: أرشيف خاص بعائلة المدني

456

الملحق رقم 07

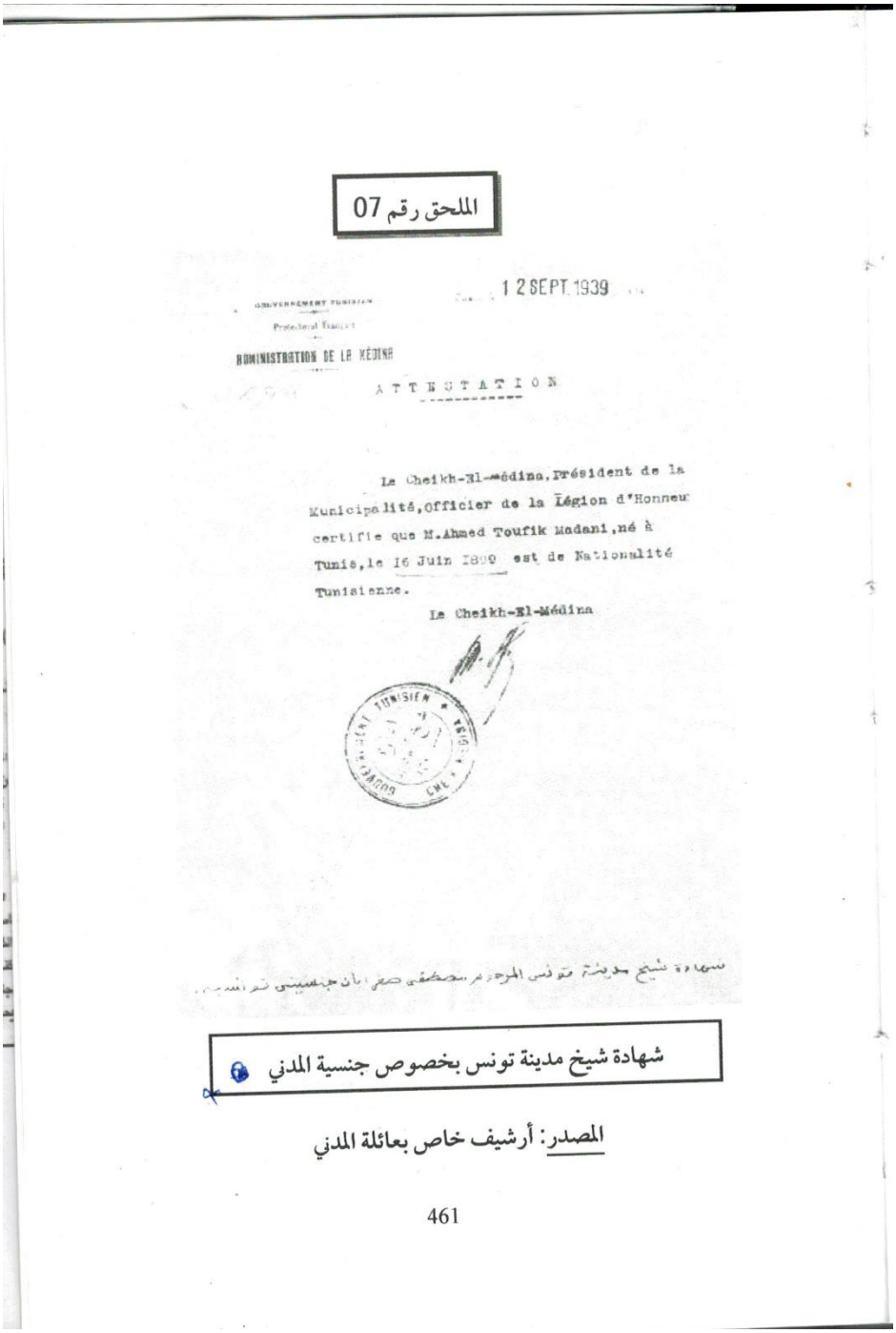

12 SEPT 1939

GOUVERNEMENT TUNISIEN

Protectorat Français

ADMINISTRATION DE LA MÉDINA

ATTESTATION

Le Cheikh-El-médina, Président de la Municipalité, Officier de la Légion d'Honneur certifie que M. Ahmed Toufik Madani, né à Tunis, le 16 Juin 1899 est de Nationalité Tunisienne.

Le Cheikh-El-Médina

شهادة شيخ مدينة تونس المرحوم مصطفى صفر بان جنسيتي تم اثبات

شهادة شيخ مدينة تونس بخصوص جنسية المدني

المصدر: أرشيف خاص بعائلة المدني

461

الملحق رقم : 12

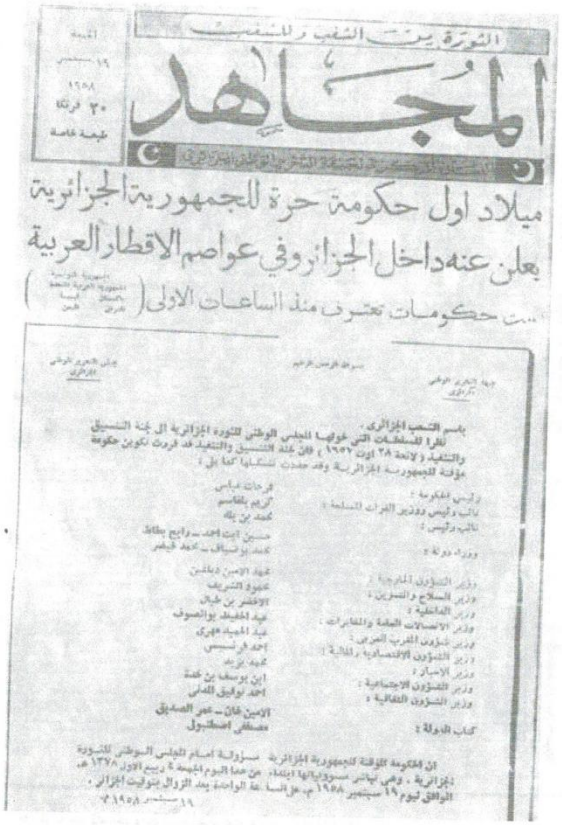

الثورة بين الشعب والسيف

المجاهد

العدد ... ١٩٥٨ ٢٠ فرنكا طبعة خاصة

ميلاد اول حكومة حرة للجمهورية الجزائرية

يعلن عنه داخل الجزائر وفي عواصم الاقطار العربية

... حكومات تعترف منذ الساعات الاولى (...)

باسم الشعب الجزائري :

نظرا للسلطات التي خولها المجلس الوطني للثورة الجزائرية الى لجنة التنسيق والتنفيذ (لائحة ٢٨ اوت ١٩٥٧) فان لجنة التنسيق والتنفيذ قد قررت تكوين حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية وقد حددت تشكيلتها كما يلي :

رئيس الحكومة :	فرحات عباس
نائب رئيس ووزير الحرب المسلحة :	كريم بلقاسم
نائب رئيس :	محمد بن يحيى
وزير دولة :	حسين آيت احمد ـ رابح بيطاط ـ محمد بوضياف ـ احمد بن بلة
وزير الشؤون المغربية :	محمد يزيد
وزير السلاح والتموين :	عبد الحفيظ بوالصوف
وزير الداخلية :	عبد الحميد مهري
وزير الاتصالات العامة والمواصلات :	احمد فرانسيس
وزير شؤون المغرب العربي :	محمد يزيد
وزير الشؤون الاقتصادية والمالية :	ابن يوسف بن خدة
وزير الاعلام :	احمد توفيق المدني
وزير الشؤون الاجتماعية :	الامين خان ـ عمر الصديق
وزير الشؤون الثقافية :	مصطفى اشطبول
كتاب الدولة :	

ان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ... مسؤولة امام المجلس الوطني للثورة الجزائرية . وهي تباشر مسؤولياتها ابتداء من هذا اليوم الجمعة ٤ ربيع الاول ١٣٧٨ هـ الموافق ليوم ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ م على الساعة الواحدة بعد الزوال بتوقيت الجزائر .

١٩ سبتمبر ١٩٥٨

قائمة أعضاء أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية

المصدر: جريدة المجاهد، طبعة خاصة، 19 سبتمبر 1958

475

الملحق رقم : 16

فضيلة الشيخ أحمد توفيق المدني في ذمة الله

(و ا ج) - انتقل الى جوار ربه فجر امس فضيلة الشيخ احمد توفيق المدني الملقب بالمتصوف عن عمر يناهز 83 سنة اثر نوبه قلبيه

ولد الفقيد احمد توفيق المدني بتونس يوم اول نوفمبر 1898 من اسرة جزائريه وتلقى علومه بها من الكتاب حتى جامعه الزيتونة التي بدأ يسيا نضاله مبكرا ضد الاستعمار وقد اعتقلته الادارة الاستعمارية عدة مرات لكن ارادته القوية في مواجهة الاستعمار البغيض على من (و)

رئيس الجمهورية يعزي أسرة الفقيد

(و ا ج) - ارسل الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية الامين العام لحزب جبهة التحرير الوطني برقية تعزيه الى اسرة الفقيد الاستاذ توفيق المدني الذي وافته المنية صباح امس بالجزائر

تشييع جنازة الشيخ أحمد توفيق المدني

(و ا ج) : تم عقب صلاة ظهر امس تشييع جثمان الشيخ احمد توفيق المدني الى مثواه الاخير بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي (مدينة الجزائر) .

وقد انتقل المؤرخ الجزائري المعروف احمد توفيق المدني الى رحمة الله صباح اول امس بمنزله اثر نوبة قلبية عن عمر يناهز 85 سنة ، وحضر تشييع جنازة الفقيد عدد من كبار المسؤولين من الحزب وفي الدولة الى جانب افراد اسرته وزملائه في المركز الوطني للدراسات التاريخية الذي انضم اليه الفقيد منذ سنة 1973

وفي كلمة القاها اشير الى مناقب الفقيد وجهوده في التعريف بتاريخ الجزائر القديم والحديث ونضاله السياسي ، واشير بصفة خاصة الى جهوده في استرجاع الكثير من الوثائق عن الحقبة التركية بالجزائر جمعها من مكتبات وارشيفات تركيا واشرف على ترجمتها ونشرها بمجلة التاريخ التي تصدر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية .

المصدر: جريدة الشعب، العددان 6213 -6214، ليومي 19-20-أكتوبر 1983

479

المدني_توفيق_أحمد/www.mawdoo3.com

المصادر
والمراجـــع

قائمة المصادر:

1-المدني أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985.

2-المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

3-المدني أحمد توفيق، حياة كفاح "مذكرات"، عالم المعرفة للنسر والتوزيع، الجزائر، ج1، دط،2010.

4-المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، الشركة الوطنية للتوزيع، ج2، الجزائر،1983.

5-المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.الجزائر

6-الورتلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر،1982.

7-سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

8-سعدالله أبو القاسم، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

9-سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945المؤسسة الوطنية للكتاب، ج3، ط1، الجزائر1986.

10-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان1995.

11-سعد الله أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت.

12-عباس فرحات، حرب الجزائر وثورتها ليل الاستعمار، تر أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب. دت.

قائمة المراجع:

1-ابن قفصيه عمر، أضواء على الصحافة التونسية 1860-1970، دار بو سلامة للطباعة والنشر، تونس،1972.

2-البشير بن الحاج عثمان الشريف، أضواء على تاريخ تونس الحديث 1881-1924، الشركة الوطنية للنشر، تونس1981.

3-الجابري محمد الصالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس1900-1962، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،1983.

4-الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

5-الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1885.

6-الدوادي زهير، الوطنية وهاجس التاريخ في فكر عبد العزيز الثعالبي، سراس للنشر، تونس،1995.

7-الطمار محمد، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

8-العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830في ثورة نوفمبر1954، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة،1985.

9-بن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.

10-بن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986.

11-بن عاشور محمد الفاضل، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، ط3، الدار التونسية للنشر، تونس1983.

12-بوحوش عمار، التاريخ السياسي منذ البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1997.

13-بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، دراسة تاريخية وايديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر.

14-بوصفصاف عبد الكريم وآخرون، القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منثوري، قسنطينة،2003.

15-بوطيبي محمد، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية مابين 1900-1930، دار الهدى، الجزائر،2012.

16-بوعزة بوضرساية، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر،2007.

17-تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية1931-1956، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1981.

18-حربي محمد، الجزائر 1954-1962جبهة التحرير الوطني الأسطورة و الواقع، ترجمة كميل قيصر داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان،1983.

19-حماني أحمد، صراع بين السنة والبدعة، ج2، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1984.

20-حمدان محمد، أعلام الاعلام في تونس، الشركة الوطنية للتوزيع و النشر، ط1، تونس، 1991.

21-خليفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني النضال السياسي والاسهام الفكري في الساحتين الجزائرية والتونسية 1899-1983، دار المحابر للنشر والتوزيع، دط، دت.

22-خير الدين محمد، مذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، دت.

23-دبش إسماعيل، الساسة العربية والمواقف الدولية اتجاه الثورة الجزائرية1954-1962، دار هومة لطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر،2000.

24-شترة خير الدين، اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية الونسية 1900-1962، دار البصائر، الجزائر،2009.

25-صاري الجيلالي، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850-1950)، ترجمة عمر المعراجي، الجزائر،2007.

26-صاري الجيلالي، محفوظ قداش: الجزائر في تاريخ المقاومة السياسية 1900-1954، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، تر: عبد القادر بن حراش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1987.

27-عبد الرحمان عواطف، الصحافة العربية في الجزائر 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985.

28-عبد القادر حميد، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر،2001.

29-عمرون نور الدين، المسار المسرحي الجزائري إلى سنة2000، ط1، شركة باتنيت، باتنة، الجزائر،2006.

30-فضلاء محمد حسن، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، دار هومة، 2000.

31-كافي علي، مذكرات علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري1946-1962، دار القصبة للنشر، الجزائر،1999.

32-مرتاض عبد المالك، فنون النثر الأدبي في الجزائر1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983.

33-مرتاض عبد المالك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر1925-1954، النهضة الفكرية، النهضة الصحفية و الأدبية، النهضة التاريخية، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر1983.

34-ناصر محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب.

35-ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية من1847إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1980.

36-ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها و تطورها وأعلامها من1930-1931، ط1، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1878.

37-يوسف محمد خير رمضان، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، دط، دت.

قائمة المجلات والجرائد:

قائمة المجلات:

1-بركات دردار آنسة، "حياة في سبيل العلم والجهاد"، مجلة التاريخ،العدد18،الجزائر، النصف الأول من سنة1988.

2-بوعزة بوضرساية، "بعض جوانب الحركة الوطنية في منظور ديبارمي"،مجلة الثقافة، العدد04،الجزائر،سبتمبر، أكتوبر1994.

3-بوكوشة حمزة، الامام عبد الحميد بن باديس في ذكراه، مجلة المعرفة، العدد10، الجزائر، أفريل1964.

4-زرقية، "المسرح الجزائري"، شعب ثقافي، العدد10، الجزائر،01نوفمبر1972.

5-شنيتي محمد البشير: لمحة عن كتاب حرب ثلاثمائة سنة للمرحوم الشيخ أحمد توفيق المدني، "مجلة التاريخ"، العدد18، الجزائر، نصف أول من سنة1985.

6-صيود هادية، أحمد توفيق المدني الوسيط النضالي بين تونس و الجزائر من خلال مؤلفه حياة كفاح، عصور جديدة، جماعة منوبة، تونس، مجلد 8،عدد01، 2018/2017.

7-معوشي آمال، أحمد توفيق المدني لمحة عن اسهاماته الثقافية ودوره الدبلوماسي في الثورة الجزائرية، مجلة البحوث التاريخية، الجزائر، مجلد3، العدد01، مارس 2019.

قائمة الجرائد:

1- أبو محمد "اقتلوا الاستعمار أو يقتلكم"، البصائر، العدد 02، الجزائر،1 أوت1947.
2- أبو محمد: الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، أعظم موقف تتخذه الجزائر المجاهدة في تاريخها الحديث، البصائر، العدد67، الجزائر، 13أوت1951.
3- أبو محمد "السياسة العالمية"، البصائر، العدد23، الجزائر، 16فيفري1948.
4-أبومحمد:"كلمة هادئة"، منبر السياسة العالمية، البصائر،العدد10، 13أكتوبر1947.
5-أبو محمد: "من أبي محمد"، بصائر، العدد89 ، 8أوت1949.
6- أبو محمد: "منبر السياسة العالمية"، البصائر، العدد04، 29أوت1947 وأيضا" منبر السياسة العالمية"، البصائر، العدد79، الجزائر،09ماي 1949.
7-المدني أحمد توفيق، جاهزة تقويم المنصور، جريدة المغرب، العدد01، الجزائر:26ماي1930.
8- المدني أحمد توفيق: "عبد الحميد بن باديس العظيم"، الأصالة، العدد44، الجزائر، أفريل 1977.
9-المدني أحمد توفيق: "كلمة أخيرة"، الشهاب، العدد100، 09جوان1927.
10- المدني أحمد توفيق:" مبارك الميلي مؤرخ الجزائر"، البصائر، العدد26، الجزائر، 08مارس1948.
11-جريدة البصائر: بيان من الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، العدد174، الجزائر،19نوفمبر1951.
12-جريدة الإصلاح: العدد17، 28جانفي1940.
13-جريدة الإصلاح: العدد49، 17ماي1947.
14-جريدة الإصلاح: العدد5 ،11جويلية1947
15-جريدة الشهاب، العدد160، 17أوت1928.
16-جريدةالشهاب:"اليوم الأغرفي عاصمةالجزائر"، ج5، م10، أفريل1934.
17-جريدة الشهاب: م10، ج09 ،أوت1934.

18-جريدة المنال: الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها تقف أمام الأمة، العدد08، الجزائر31أوت1951.

19-جريدة المنال: تصريح مشترك، العدد09، الجزائر، 05أكتوبر1951.

20-جريدة المنال: الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها مولود جديد في حاجة إلى عناية، العدد07، الجزائر15أوت1951.

21-حميدي أبو بكر الصديق: "القضايا العربية" من خلال جريدة البصائر، السلسلة الثانية 1947.

22-محمد العاصمي، أعظم نادي بالجزائر وإن كان بعد مئة عام، الشهاب، العدد108، 4 أوت 1927.

23-محمد العاصمي، "مشهدان عظيمان"، العاصمة، الشهاب،122، 17نوفمبر1927.

24-بدون كاتب: تونس المجاهدة، البصائر، العدد 182، الجزائر، 01فيفري1952.

الموسوعات العلمية:

1-براهيم بن عبد الله خزيمي، موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر هجري، ج1، دار الشريف رياض للنشر.

2-بوعلام بلقاسم وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، منشورات المركز الوطني للدراسات، الجزائر، دت.

المخطوطات:

1- المدني أحمد توفيق، رد أديب على حملة الأكاديب.

الرسائل الجامعية:

1- بالعجال أحمد: الخطاب الإصلاحي عند محمد السعيد الزهراني 1900-1944، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة،2006.

2- بن جابو أحمد: المهاجرين الجزائريين ونشاطهم في تونس (1830-1954)، أطروحة دكتوراه، جامعة بلقايد، تلمسان2010-2011.

3- حمدي أبو بكر الصديق، القضايا العربية من خلال جريدة البصائر، السلسلة الثانية 1947-1956، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2004.

4-حميدي فاطمة، المشكل الثقافي في الحركة الوطني الجزائري 1950 -1954 من خلال بعض أشكال التعابير الفنية والأدبية، دبلوم دراسات معمقة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر1981.

5-خليفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة الثقافية والسياسة في تونس والجزائر 1883-1899، رسالة ماجستير، جامعة منثوري قسنطينة، قسم التاريخ والآثار،2006-2007.

6- لهلايلي أسعد، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902-1993م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة منثوري، قسنطينة،2006.

7-مرغيت محمد، موقف الشهاب من قضايا معاصرة1925-1939، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،2003.

8-مريوش أحمد، الشيخ الطيب العقبي ودوره في القضية الوطنية، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1992.

9-معزة عزالدين، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة منثوري، قسنطينة،2001.

المراجع الأجنبية:

1_Anonyme du manifeste à la république Algerièenne , édition liberation Alger=1948.

2_Harbi , Mohamed ,le FLN. mirage et réalité,édition jeune Afrique, paris=1980.

3_Kaddache Mahfoud et Djilali Sari, l'Agérie dans L'histoire la résistance Politique 1900-1945 - ENAL .o p. u. Alger=1989 .

4_Stora Bénjamin_Zakya Daoud=ferhat abbas une autre Algérie ,édition, casbah,Alger.1995.

5_Teguia Mohamed-L'Algérie en guerre, office des publication universitaire,Alger=1988 .

6_Yahiaoui Fadhila=Romanet Societé coloniale dans L'Algerie de l'entre guerres. ENAL,Alger=1985.

المواقع الالكترونية:

1_W W W. Squ. Edn Om/STU/Tht/ history.

2_WWW.chihab,net/modules,php=name-News file sid_872

3_WWW.chihab,net/modules,php=name-News file.article sid .82

4_ WWW.IslamOnline.net

الملخص

الملخص

الملخص:

تروم هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على شخصية مهمة استطاعت أن تترك أثرا بارزا في تاريخ الجزائر ألا وهي "أحمد توفيق المدني" الذي يعد من بين المؤرخين الجزائريين الأوائل الذين دخلوا غمار إحياء التاريخ الوطني الجزائري وإيقاظ همم الجماهير، وذلك بواسطة كتاباته التي تعد تراثا تاريخيا من واجب الأجيال الصاعدة الاهتمام والتغني به، لأن مقاومته بالقلم لا تختلف كثيرا عن المقاومة بالسلاح.

فقد أفنى حياته في سبيل العلم والمعرفة فاستحق عن جدارة لقب المفكر والمثقف ويكفيه فخرا أنه من الأوائل الذين عملوا على إيصال المادة التاريخية الوطنية الى الجزائريين بلسانهم العربي، وضح من خلالها تاريخهم عبر مختلف العصور التاريخية، رافعا بذلك الغبن عن هذه الامة، فالذي لا يعرف تاريخه لا يفهم حاضره ولا يستطيع أن يستشرق مستقبله.

Abstract :

This study aims to shed light on an important figure who was able to leave a prominent impact in the history of Algeria, namely, "Ahmed Tawfiq al-Madani", who is among the first Algerian historians who entered the midst of reviving the Algerian national history and awakening the people's enthusiasm, through his writings, which are a historical heritage from The duty of the younger generations to pay attention to and sing praises to him, because his resistance with the pen is not much different from the resistance with arms

He devoted his life for the sake of science and knowledge, so he deservedly deserved the title of thinker and intellectual, and it suffices him to be proud that he is one of the first who worked to deliver the national historical material to the Algerians in their Arabic language, through which he clarified their history through various historical eras, thus removing the injustice of this nation, for he who does not know his history He does not understand his present and cannot orientalize his future.

الفهرس

الفهرس

إهداء
شكر وعرفان
المقدمة..... أ

الفصل الأول : ترجمة لشخصية أحمد توفيق المدني

المبحث الأول : مولده ونشأته ووفاته..... 5
المبحث الثاني : تعليمه..... 10
المبحث الثالث : اسهاماته الأولى في الفكر والأدب..... 12
أولا: الاسهامات الفكرية..... 12
ثانيا: الإسهامات الأدبية..... 18

الفصل الثاني : النشاط السياسي لأحمد توفيق المدني

المبحث الأول : نشاطه السياسي بتونس..... 22
أولا : نشاطه السياسي بتونس..... 22
1 – أثناء الحرب العالمية الأولى..... 22
2 – مرحلة السجن..... 23
3 – المدني والحزب الدستوري..... 24
4 – تأسيس لجنة الخلافة الاسلامية وجامعة عموم العمالة التونسية..... 26
المبحث الثاني : نضاله في الحركة الوطنية..... 28
أولا: مشاركته في بيان الشعب الجزائري1943..... 28
ثانيا: مشاركته في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها1951..... 32
ثالثا: خطابه تجاه الاستعمار..... 37
المبحث الثالث : دوره في جمعية العلماء المسلمين..... 41
المبحث الرابع : موقفه اندلاع الثورة 1954–1956م..... 49

الفصل الثالث : النشاط الفكري لأحمد توفيق

المبحث الأول : نشاطه الصحفي..... 54
1–المدني والشهاب..... 55
2–المدني والبصائر..... 57
المبحث الثاني : أعماله التاريخية..... 60

الفهرس

1 – تقويم المنصور 62
2 – قرطاجنة في أربعة عصور أو تاريخ شمال افريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي.. 63
3 – كتاب الجزائر 64
4 – محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791م..... 64
5 – المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا..... 65
6 – جغرافية القطر الجزائري..... 65
7 – حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792م..... 66
8 – مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754–1830م..... 66
المبحث الثالث : نشاطه الجمعوي والأدبي..... 68
أولا: الفن المسرحي..... 68
ثانيا: تأسيس نادي الترقي..... 70
ثالثا: نشاطه في الجمعية الخيرية الإسلامية..... 72
الخاتمة..... 76
الملاحق..... 80
قائمة المصادر والمراجع..... 87
الملخص..... 97
الفهرس..... 99